الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها

التباسات الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من خلال رواية "سأهبك غزالة" لمالك حداد

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين :

ربيحة لمودع

خديجة قاسمي

إشراف الأستاذ:

الدكتور يحي الشيخ صالح

شعبة الأدب العربي تخصص الأدب المعاصر

مــــــــاي 2011

فهرس الموضوع :

خطـــة البـــــحــــــــث

العنوان : التباسات الهوية في الأدب الفرانكفوني الجزائري من خلال رواية "ساهبك غزالة" لمالك حداد - كنموذج

<u>المقدمة</u>

تمهيد

<u>الفصل الأول</u>

إشكالية الهوية في الأدب الفرانكفوني

<u>المبحث الأول</u> :

مفهوم الهوية

مفهوم الأدب الفرانكفوني

نشأة وتطور الأدب الفرانكفوني

<u>المبحث الثاني</u> :

صورة الجزائر من خلال أدباء وأعلام الوطن العربي

صورة الجزائرفي الكتابات الكولونيالية من خلال أعلامها

<u>الفصل الثاني</u>

دراسة تطبيقية عن رواية سأهبك غزالة

قراة الرواية

<u>المبحث الاول</u>

ملامح الهوية في الرواية

- ملامح بيئة
- ملامح شخصية

<u>المبحث الثاني</u>

مفهوم الالتباس

تجليات الالتباس

- الالتباس اللغوي
- التباس الهوية الوطنية
- الالتباس الثقافي
- الالتباس الديني

<u>الخـــــاتمـــــــة</u>

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

إهـــــداء

إلى ينبوع الحياة و المودة...........................والداي

إلى عائلتي الغالية....................................بدون استثناء

كلـمة شكر و تقـدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والقائل في محكم ترتيله:

" لئن شكرتم لازيدنكم"

الحمد لله العزيز الذي وفقنا في إنهاء هذا العمل الذي نأمل أن يكون مشعل نور يضيء درب أي طالب ولو بجزء يسير، وما التوفيق الآمن عنده سبحانه القادر على ما شاء.

"اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت علام الغيوب".

شكر و تقدير

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور يحي الشيخ صالح الذي تكرم بقبوله الإشراف على بحثنا و متابعته و الحقيقة أن هدا العمل اكتمل و ظهر بالشكل الذي هو عليه بفضل توجيهه و تشجيعه لنا و تقويمه للبحث.

كما لا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نشكر الأستاذ منصف شلي و كل أساتذتنا و كذلك عمال المكتبات التي ترددنا عليها و نخص بالذكر الذين قدموا لنا وثائق و كتب ساعدتنا على إنهاء البحث.

المقدمة:

إن موضوع الهوية في الفكر الجزائري الحديث من أهم المواضيع الجديرة بالبحث كما أنها من المواضيع المتناولة قي الوطن العربي.

فاختلفت الآراء حول الهوية الجزائرية التي فجرت ثورة التحرير ناهيك عن اللغة المعبرة عنها لهذه الهويةلذا نتناول هذا الموضوع بالبحث نظرا لخصوصيته و أهميته ومن هذه الاعتبارات اخترنا بحثنا هذا الذي يحمل عنوان " التباس الهوية في الأدب الفرانكفوني الجزائري " و الذي يطرح في حد ذاته إشكالية لم ينته النقاش فيها بعد إلى شيء.

موضوع البحث هوا واضح نوعا ما من خلال عنوانه الذي يحدد الالتباسات الكامنة في الهوية الجزائرية لدى الأدب الفرانكفوني إذ أن هذه الأخيرة خير مثال على تجسيدها هي الرواية التي تعد الجنس الوحيد الذي لديه الطاقة الكامنة للتعبير عن مكامن الأمة و" مالك حداد" من خلال روايته " سأهبك غزالة " يريد الكشف عن حقيقة كامنة محصنة لا يمكن محوها أو إهمالها حيث إن رمز الغزالة له دلالات عدة، ردا بذلك عن مقولة " الجزائر ارض فرنسية "اد ان الجزائر بمعالمها و أرضها و شعبها و دلالاتها هي عربية جزائرية لكنها قد تصبغت و ترجمت بلغة أجنبية هذا ما اصطلح عليه بتسمية " الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية "

هذا الأدب الذي كثيرا ما كنا نقرا عنه في بعض الكتب العلمية و الدراسات الأدبية التي تناولت الأدب الجزائري إذ أن هذا الأخير المكتوب باللغة الفرنسية يختلف شكلا و مضمونا عن الأدب الفرنسي الذي كتبه الفرنسيون الذين ولدوا في الجزائر .

فمثل هذه القضايا العلمية و مثل هذه المناقشات التي أثيرت حول ظاهرة هوية الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية و الأدب الفرنسي المكتوب عن الجزائر،هي التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع وهي التي حثتنا و شجعتنا على البحث في هذا الميدان قصد الوصول إلى بعض الحقائق حول الموضوع، إضافة إلى اهتمامنا الخاص لموضوع الصراع بين الشرق و الغرب و حب الكشف و التطلع عن الثقافة العربية الجزائرية و توضيح الصورة الحقيقية للهوية الجزائرية التي طالما وقع حولها الجدال.

وفي الأدب الجزائري توجد العديد من الدراسات في هذا الموضوع لكن من زوايا عدة و مختلفة.

وقد رأينا أن هذه الدراسة لم يعطى حقها خصوصا خلال الشطر الثاني فيما يتعلق بالرواية على الرغم من أن " مالك حداد " قد لقي دراسات و بحوثا لكن في مجالات أخرى باستثناء البعض منها وما ندرسه هو إضافة للدراسات السابقة وليس التكرار.

لذا حاولنا أن نلقي الضوء على أهم جوانب الالتباس الذي تميزت به الهوية في الأدب الفرانكفوني الجزائري من خلال رواية "سأهبك غزالة " التي هي إلقاء و غاية في نفس الوقت.

أما المنهجية المتبعة فقد حاولنا بقدر الإمكان استخدام المنهج التحليلي التاريخي للحصول على أنواع المعرفة عن طريق الماضي بقصد دراسة و تحليل بعض المشكلات الإنسانية و العمليات الاجتماعية و ذلك لأنه كثيرا ما يصعب علينا فهم حاضر الشيء دون الرجوع إلى ماضيه و دراسة الحوادث و الوقائع السابقة من اجل تحليل الحقائق التي تشكل الحاضر.

كما لا يخفى على احد ما يرافق هذا العمل من صعوبات و عوائق ليتمثل بعضها في جمع المادة و تصنيفها و البعض الأخر في كيفية التنسيق بين الأبواب و الفصول.

ونعترف أن بداية هذا البحث كانت عندنا نوعا من المغامرة و ضربا من الغوص في محيط لا نهاية له.

ومن اجل تحديد خطوات البحث فقد حاولنا الاعتماد على التقسيم التالي:

- رأينا أولا أن نستهل الموضوع بباب تمهيدي طرحنا من خلاله ازدواجية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية و الالتباس في هذا الموضوع فقد قصدنا التعرض لهذه الفترة العابرة من التاريخ الجزائري لما لها من علاقة وثيقة بالإنتاج الروائي الجزائري و الفرنسي على حد سواء.

- ذلك انه بقدر ما كان الروائي الجزائري يبحث من خلال رواياته عن ذلك التاريخ العابر و يحاول العودة إليه من خلال ذاكرته و ذاكرة أبطاله و من خلال توظيفه لبعض الرموز و الأساطير التي كان يرى فيها ماضيه الضائع وهويته و شخصيته المتمزقة بين فرنسا و الجزائر

كما تناولنا أيضا في هذا المدخل ترجمة للروائي " مالك حداد " و المواضيع المتطرق إليها من خلال رواياته لنضيف بعد ذلك لمحة بسيطة عن الرواية المدروسة في هذا الموضوع.

ومن هنا قدمنا الأسس النظرية و المنهجية التي تقوم عليها خطة البحث

أعطينا الفصل الأول عنوان" إشكالية الهوية في الأدب الفرانكفوني " و يضم بابين الباب الأول يضم ثلاث مباحث في حين الباب الثاني يحمل مبحثين وهي ذات طابع تاريخي نظري.

الباب الأول يحمل العناوين التالي:

أ- مفهوم الهوية الجزائرية

ب- مفهوم الأدب الفرانكفوني

ج- نشأة و تطور الأدب الفرانكفوني

وفي المبحث الأول شرحنا من خلاله مسالة الهوية و بينا اشتقاقها اللغوي و العربي و اللاتيني،و عرفناها في معناها الاصطلاحي بناءا على كل ذلك مسالة الهوية وادعاءات من أنكروا عليها ذلك

أما المبحث الثاني،فتتبعنا فيه مفهوم الفرانكفونية أو أدب الجزائريين باللغة الفرنسية كما اصطلح عليه البعض ووضحنا هوية هذا الأدب وناقشنا المسالة من الجانب النظري،في حين المبحث الثالث و الأخير ركزنا من خلاله على مرحلة نشأة و تطور الأدب الفرانكفوني

أما الباب الثاني فيحمل العناوين التالية:

أ- صورة الجزائر من خلال أدباء و أعلام الأدب الفرانكفوني في الوطن العربي

ب- صورة الجزائر في الكتابات الكولونيالية من خلال أعلامها

فتطرقنا من خلال المبحث أ إلى إبراز أعلام الجزائر و الوطن العربي عامة ، اللذين كانوا من بين هؤولاء المتعرضين لتأثيرات الثقافة الفرنسية و سياسة الطمس التي مسحت هويتهم و مزقت شخصيتهم و أصالتهم ،و بالتالي لا يمكن ان تزول أثار هذه الممارسات بين عشية و ضحاها بل تحتاج المسالة إلى وقت طويل مليء بالنضال المخلص لإعادة إبراز الهوية الوطنية.

فمن بين الأدباء في الجزائر ذكرنا " كاتب ياسين " و " مولود معمري " ، أما في الوطن العربي فقد أوردنا كل من " أمين معلوف" و " الطاهر بن جلون"

في حين المبحث ب ، بينا من خلاله صورة الجزائر قي الكتابات الكولونيالية حيث أوردنا عالمين فقط هما: " ألبير كامو " الذائع الصيت ،,و" ايمانويل روبلس"

لننقل بعدها إلى الجانب التطبيقي أي الفصل الثاني:

فهو دراسة تطبيقية عن رواية " سأهبك غزالة " لمالك حداد ،و فيه قراءة بسيطة للرواية

هذه الأخيرة التي هي فرنسية من حيث اللغة و اللسان، لكنها عربية من حيث دلالاتها و رموزها و الروح التي كتبت بها.

و هذا الفصل بدوره يحتوي على بابين بكل باب ثلاثة مباحث.

أعطينا الباب الأول عنوان "ملامح الهوية في الرواية" و نعني هنا الرموز و الدلالات التي اعتمدها الروائي أثناء معالجته لموضوعه و منها الملامح البيئية التي تظهر من خلالها الغزالة، هذه الأخيرة التي هي رمز العروبة و الأصالة،ثم الجبال و التي كانت نقطة انفجار الثورة التحريرية و التي هي رمز الشموخ و القوة حيث كانت مركز تحول في تاريخ الجزائر القديم من الرومان وصولا بذلك إلى الاحتلال الفرنسي.

ثم الصحراء التي تعني العروبة و الرومانسية و الهدوء و ما إلى ذلك.لتليها بعد ذلك ملامح إنسانية و نقصد بها أسماء الأشخاص المحركين للرواية و ما كان قصد الروائي من خلال من خلال إدماج تلك الشخصيات.

أما الباب الثاني ادرجنا من خلاله الالتباس الديني كما سلطنا فيه الضوء على تجليات الالتباس في هذه الرواية حيث أننا عالجنا عدة نقاط في هذا الموضوع منها الالتباس اللغوي و الذي حاولنا من خلاله توضيح أن هذه الرواية فقد كتبت باللغة الفرنسية و لمؤلف فرنسي لكنها عن واقع محلي فيه بناء للهوية بناءا ملتبسا و لأنه

ركز على احد محددات الهوية و التي هي اللغة،فهذه الرواية ذات هوية عربية بموضوعاتها لا بلغتها.

أما المبحث الثاني فيعنى بالتباس الهوية الوطنية،إذ أن " مالك حداد " ذو هوية عربية لكنه

كما يقول قد اجبر على الكتابة باللغة الفرنسية والتي يعتبرها منفاه.

في حين المبحث الثالث تطرقنا من خلاله إلى الالتباس الثقافي فوضحنا أن الهوية الثقافية لا تطرح إلا في حالة الاحتكاك وكدفاع ذاتي.

وبينا الاختلاف القائم بين الثقافة التي تؤمن بالخيارات الرومانسية و الثقافة التي تؤمن بالنفعية والواقعية.لنصل الى المبحث الأخير والذي ادرجنا من خلاله الالتباس الديني .

وأخيرا الخاتمة التي تناولنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث و التي حاولنا من خلالها إبراز حقبة تاريخية وثقافية وحضارية للآمة الجزائرية ، فان ذلك كله لا يمكن أن يكون تعبيرا مطلقا عن تراث و حضارة هذا المجتمع الذي هو أعمق مما قدمناه

لذلك نرى بكل تواضع إن هذه النتائج ماهي إلا بدايات أولية لبحوث مستقبلية .

وفي الختام مايسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور " يحي الشيخ صالح " الذي منحنا من وقته ومن علمه ما جعلنا نكابد مشقة العمل ونصل إلى ما نحن عليه فالشكر جزيل الشكر له.

المـدخــل:

هناك ازدواجية في الأدب الجزائري باللغة الفرنسية مع اختلاف في اللغة لكونها فرنسية فمنهم من ينكر على هذا الأدب جزائريته و يعده بسبب لغته أدبا فرنسيا،وهناك في المقابل من يعده بسبب الروح التي كتب بها أدبا جزائريا خالصا لا مجال للطعن فيه.

و أدباء هذه المرحلة قد دافعوا أحسن دفاع و عبروا أصدق تعبير عن هوية الشعب الجزائري و عن كيانه و عن وجوده، و عن حقه في تعلم لغة و صيانة دينه و الحفاظ على مقوماته الأساسية

هذه المقومات التي عملت فرنسا على ضربها من رقعة جغرافية و سيادة وطنية وثقافة عريقة وحضارة متجذرة في التاريخ ودين يجتمع عليه كل أهل البلد

كما أن فرنسا أثناء احتلالها للجزائر عملت على محاربة الشعب الجزائري وعلى تطبيق المثل القائل " إذا أردت أن تحطم امة ما فاسلب لغتها " ، وهذا ما طبقته السلطة الاحتلالية في البداية كما صرح الدوق " دوروفيكو " سنة 1832 قائلا "أرى أن نشر لغتنا هي الوسيلة الأكثر فعالية لفرض هيمنتها في هذا البلد"(1)

وقد قال أيضا : " إن المعجزة الحقيقية التي علينا أن نصنعها هي أن نحل اللغة الفرنسية شيئا فشيئا محل العربية ، حيث نتمكن عن طريق هذا الإجراء من نشر لغتنا بين الأهالي خاصة إذا أقبلت الأجيال الجديدة جماعات على التعلم في مدارسنا " (2)

---

(1) نقلا عن احمد منور , الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه ,ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر بن عكنون, ص60

(2) نفس المصدر ص60

وبالرغم من كل هذا قد ظل صوت الكتابة بالفرنسية يشق طريقه ويجلجل في الاذان فهذه "نجمة" لكاتب ياسين، و"ثلاثية" لمحمد ديب ،وهذه نتاجات كل من " مولود فرعون " و " مالك حداد" وغيرهم.

إذ ناضل هؤلاء الكتاب بالفرنسية خير نضال وحاربوا المستعمر بلغته بعدما أن اتخذوها

سلاحا،وقد كان المستعمر يباهي لولاء المثقفين بالفرنسية له، لكن هيهات له من الوعي الوطني والسياسي الذي تشبع به هؤلاء الكتاب انطلاقا من أصالتهم وجزائريتهم فقد أبدع هؤلاء بلغة الاستعمار وضد الاستعمار وكانت كتاباتهم مستوحاة من واقع الشعب الجزائري الطامح للحرية و التحرر.

ومن بين أولئك الكتاب الروائي "مالك حداد" الذي هو موضوع دراستنا في هذا البحث.

مالك حداد 1927-1978 شاعر وكاتب وروائي جزائري ولد بمدينة قسنطينة وتعلم في مدارس باللغة الفرنسية التي فرضها الاستعمار ، تحصل على شهادة في الحقوق من فرنسا كما أحرز شهادة الدراسة في فرع الفلسفة والآداب ، والشهادة الأصلية للتعليم الابتدائي أراد الانخراط في التعليم إلا أن الظروف حرمته من ذلك.

ومالك حداد من بين الكتاب اللذين يركزون على تصوير غربتهم و واقعهم كمثقفين متأرجحين بين ثقافتين هم في نفس الوقت يجعلون كتابتهم تصب في قالب الرواية.

ونلمح في رواياته وكتاباته الالتزام الشديد بقضية شعبه ومأساة وطنه، فكان همه الوحيد يتمثل في خدمة الثورة الجزائرية والإسهام في تحقيق أهدافها .

شهد "مالك حداد" مأساة 08 ماي 1945 التي هزت وجدانه إذ يقول : " لقد ولدت في صباح 8ماي 1945 " (1)

منذ ذلك الوقت اختار طريق الثورة بالقلم فأخذ يحرر في الصحف الوطنية ويؤلف القصص بعدما هاجمه الفرنسيون في بيئته فاختفى ثم غادر البلاد منفيا إلى اروبا.

كرس حياته للكتابة عن الثورة فأسهم في تحرير بعض المنشورات ، كما قام بعدة مهمات رسمية كتمثيله لجبهة التحرير في مؤتمر الكتاب الإفريقيين الذي انعقد في مؤتمر طوكيو.

بعد الاستقلال التحق الكاتب بوزارة الخارجية للعمل فيها بصفته مكلفا بمهمة رئيس المكتبة العامة، وقد أختير عضوا في لجنة التوجيه الثقافي في المكتب السياسي،وكان من الأعضاء

البارزين العاملين في الاتحاد الوطني للكتاب الجزائريين قبل أن ينتقل إلى مأواه الأخير.

* للكاتب مؤلفات متعددة تدل على غزارة في إنتاجه ونذكر منها:

ا/ ديوانان من الشعر:

- الشقاء في خطر Le malheur en danger
- استمتع وأناديك Ecoute et je t'appelle

ب/ الروايات:

الانطباع الأخير -La dernière impression

رصيف الأزهار لا يجيب -Le quai en fleur ne réponds pas

سأهبك غزالة -Je t'offrirai une gazelle

---

(1) نقلا عن علجية مرحوم ,القصبة الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية, دراسة مقارن 1935-1962 ,ص 335

واغلب هذه الروايات مترجمة إلى العربية :

- الشقاء في خطر،ترجمها إلى العربية ملك الأبيض العيسي، مكتبة الشرق سوريا 1961.

- التلميذ والدرس، ترجمة سامي الجندي، دار الطليعة، بيروت 1973.

- رصيف الزهور، ترجمها إلى العربية احمد نظير شوقي، دار الاتحاد بيروت

- رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمها حنفي بن عيسى، المطبوعات الوطنية الجزائرية، 1965.(1)

بالإضافة إلى ذلك،كتب مالك حداد مقالات متعددة شرح فيها ما سماه بمشكلة التعبير في الأدب الجزائري ولعله كما يقول حنفي بن عيسى،من الكتاب الجزائريين القلائل اللذين انتبهوا إلى ما في الثقافة الجزائرية من مفارقة، فهي عربية و إسلامية من حيث الروح ولكنها فرنسية من حيث اللسان ، ومن هنا نشأت مشكلة التعبير.(2)

ظل مالك حداد يحمل مأساته المزدوجة هذا الهم المزدوج هو " الاستعمار و اللغة فهو الذي حدد مسار كل أعماله،فبالرغم من مأساة اللغة ظل هذا الأديب يعبر عن هموم وطنية وقومية وإنسانية برؤية وروح تقدمية،فرواياته تقريبا كلها دارت حول الثورة الجزائرية وشخصية الكاتب والثورة تشكلان نبعا غزيرا لرواياته، وحب الوطن يقوم بمثابة رباط الحياة.

---

(1) مالك حداد, رصيف الأزهار لا يجيب, ترجمة حنفي بن عيسى, المطبوعات الوطنية, الجزائر 1965 ص 4.

(2) نقلا عن رسالة ماجيستيرلفيروز شني , ترجمة مالك حداد إلى العربية, دراسة أسلوبية مقارنة عن رواية " رصيف الأزهار لا يجيب "

ولحداد مفهومه الخاص للالتزام ففي روايته " سأهبك غزالة " التي هي محور بحثنا هذه الأخيرة التي بات واضحا فيها التمزق القوي بين هويتين: هوية فردية فرانكفونية، وهوية جزائرية عربية، وسنتطرق إلى هدا الموضوع لاحقا.

الفصل الأول:

إشكالية الهوية في الأدب الفرانكفوني:

المبحث الأول

مفهوم الهوية

مفهوم الأدب الفرانكفوني

نشأة و تطور الأدب الفرانكفوني

المبحث الثاني

صورة الجزائر من خلال أدباء و أعلام الأدب الفرانكفوني في الوطن العربي

صورة الجزائر في الكتابات الكولونيالية من خلال أعلامها

إشكالية الهوية في الأدب الفرانكفوني:

ينصب العديد من الباحثين إلى الرأي الذي ينظر الأدب الجزائري على أنه مادة خام لم يتم بعد استغلالها و تنميتها بالدراسات اللازمة التي تحدث في الآداب العالمية.

فهناك كتابات و أبحاث مستفيضة حول الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وهناك أبحاث ودراسات أخرى مستفيضة حول الكتاب الفرنسيين الذين كتبوا عن الجزائر.

والواقع إننا لم نهتم كثيرا ونحن نعد هدا البحث أن نثبت أو ننفي عنه هذه الصفة أو تلك وإنما كان همنا هو تتبع تاريخية والتعمق في مضامينه.

فأدباء هذه المرحلة قد دافعوا أحسن دفاع وعبروا أصدق تعبير عن هوية الشعب الجزائري وعن كيانه وعن وجوده وعن حقه في تعلم لغة وصيانة دينه والحفاظ على مقوماته الأساسية هذه الأخيرة التي عملت السياسة الاستعمارية على ضربها بطمس الهوية الشعبية.

ومن هنا يجدر بنا أن نقدم مفهوم الهوية، هذه الهوية التي طالما وقع حولها الجدل و الالتباس

ا* مفهوم الهوية:

إن الاهتمام الضخم في السنوات الأخيرة تمثل في عدد هائل من المؤلفات والأبحاث والأنشطة المختلفة،كلها منصبة على سؤال الهوية تطرحه من زوايا متعددة، فامتدادها لم يكن وليد اللحظة، إنما سؤال الهوية قديم قدم الإنسانية ، وقدم انشغاله الاجتماعي والثقافي وتأمله في نفسه وفي الآخرين.

فمسألة الهوية تعد من المسائل التي كثر الخوض فيها عندنا في السنوات الأخيرة، حيث دخلت بقوة ساحة البحث الأدبي والجدل السياسي، وأصبحت من العبارات

الكثيرة التداول على الألسن فهي تتنوع وتتعدد قي معناها باختلاف الانتماء السياسي.(1)

يشتق المعنى اللغوي لمصطلح الهوية من الضمير "هو" ،أما مصطلح " الهو" هو المركب من تكرار "هو" فقد تم وضعه كاسم معرف "بال" ومعناه الاتحاد بالذات (2).

و تأسيسا على المقاربة الفلسفية،أو كما يعرفها قاموس " المنجد " باللغة العربية معناها

" حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية"

كما يعبر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو لمثيله،وبالتالي فالهوية الثقافية لأي شعب هي القدر الثابت و الجوهري و المشترك من السمات و القسمات العامة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات(3).

-أما في اللغة الفرنسية فان لفظ الهوية l' identité مشتق من الكلمة اللاتينية " idem " التي تقال على الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا مع الاحتفاظ في ذات الوقت بتمايز بعضها عن بعض(4)

-و الهوية كما شرحها " لاروس " تعني " مجموع الظروف أو الحيثيات التي تجعل من الشخص مميزا أو محددا(5)

---

(1) احمد منور, الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ,نشأته وتطوره وقضاياه, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, بن عكنون, ص 18

(2) عباس الطائي, آفات اللغة والهوية مقال نشر بالموقع الالكتروني www.alwaystudies.org

(3) لويس معروف,المنجد في اللغة والأدب والعلوم,ط8, بيروت,نقلا عن احمد منور ص 11.

(4) احمد منور , الأدب الجزائري باللسان الفرنسي, ,نشأته وتطوره وقضاياه, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, بن عكنون, ص11.

(5) احمد منور, نفس المصدر , ص 11.

-أما الموسوعة الكونية فتنطلق من الأصل اللاتيني للكلمة المشار إليه آنفا لتنفذ فكرة التشابه أو التعامل التام بين الأشياء.

و من هنا نستنتج مفهوم " الهوية « بمعناها المتداول الذي يعني وجود كيان مستقل لكل شيء أو كل كائن من الأشياء أو الكائنات الأخرى مهما تشابهت خصائصها معه(1)

فالهوية مقولة تعبر عن تساوي و تماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاتها و يتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا،و من ناحية أخرى فان الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هويتها بهدف تصنيفها.

وهذا يعني أن الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فهمه بالتمييز بين الأشياء.(2) .

واستنادا إلى التعريفات السابقة لاسيما إذا أخذنا من معاني الهوية ما تعلق بشخص الإنسان لأن هذا الذي يعنينا أساسا في موضوعنا نخلص إلى القول:

" إنها تلك المعلومات المسلحة في بطاقة التعريف أو "بطاقة الهوية" التي تشمل الاسم واللقب وتاريخ الميلاد ومكانة النسب العائلي وعنوان الإقامة، إضافة إلى العلامات الجسمية المميزة. (3)

ويستعمل مصطلح الشخصية على الأخص في كثير من الأحيان بمعنى الهوية، وقد أحصى أحد الباحثين أكثر من خمسين تعريفا لمصطلح الشخصية (4)، مما يشير إلى الاختلاف الكبير الواقع بشأنها

---

(1) احمد منور, نفس المصدر , ص11
(2) احمد منور, نفس المصدر , ص11
(3) احمد منور, نفس المصدر , ص11
(4) احمد بن نعمان," سمات الشخصية الجزائرية " من منظور الانتروبولجيا النفسية, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر 1988, ص 155

فقد أورد الدكتور " أحمد بن نعمان " لمعنى مصطلح "الشخصية" في " كتابه سمات الشخصية الجزائرية " خمسة عشر تعريفا لعلماء نفسانيين و اجتماعيين ، وخلص إلى القول بأن " آراء العلماء لم تستقر بعد حول مفهوم محدد لمعنى " الشخصية " مما حال دون الوصول إلى وضع تعريف جامع مانع له يكون مستوعبا لكل الأجزاء المكونة للشخصية " (1)

إذا من هوية الفرد إلى هوية الجماعة وجدنا أن معظم العناصر التي تشكل الهوية الفردية تتطابق على مفهوم الهوية الجماعية أو ما اصطلح على تسميته بالهوية الوطنية أو الهوية القومية.*

والدكتور " أحمد بن نعمان " قد قسم الهوية إلى نوعين:

ـ **فردية:** وهي تعتمد أساسا على المميزات " الجسدية " التي تميز كل كائن بشري عن الاخر من بين ملايين البشر في المعمورة، وأبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع التي تحدد أو تثبت هذا الاختلاف علميا . (2)

ـ **وطنية وقومية:** (نسبة إلى الوطن أو إلى الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته)، وكتعريف إجرائي للهوية الوطنية أو القومية فإننا نقول: إن هوية أي أمة من الأمم هي مجموعة الصفات و السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد اللذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون و يتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد للأمم الأخرى، (3)

---

(1) احمد منور , الأدب الجزائري باللسان الفرنسي, ,نشأته وتطوره وقضاياه, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, بن عكنون, ص11.

* هناك تداخل وخلط في استعمال لفظتي "وطني" و "قومي" في معظم الأقطار العربية بحيث تستعملان في معظم الأحيان بمعنى واحد, وفي الجزائر شاع استعمال اللفظة الأولى بمعنى الجزائري أو الخاص بالوطن الجزائري , والثانية بمعنى العربي أو أي شيء يحمل البعد العربي .

(2) احمد بن نعمان, الهوية الوطنية, الحقائق والمخالطات, شركة دار الآمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع, برج الكيفان الجزائر, ص21

(3)) احمد بن نعمان, نفس المصدر , ص 21.

ومفهوم الهوية القومية هو الذي يحدد شخصية الأمم، الشعوب، والثقافات المختلفة بجوهر أو تركيب نفسي تصرف النظر عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والفكرية التي تحيط به، فيعالج مستقبلها ونمط حياتها. (1)

وهناك ما نسميه بالمفهوم السوسيولوجي التاريخي الذي يرى أن الهوية القومية تعني فقط طرق تفكير و شعور وسلوك جماعية ومهيمنة نسبيا وتتغير مع حركة التاريخ وتحولاتها الجذرية، فالهوية القومية هي هوية نسبية تاريخية يحققها شعب ما عن طريق تفاعله أو علاقته مع التاريخ.(2)

والفرد يستمد إحساسه بالهوية والانتماء من الشعور القومي ذاته، فيحس بأنه ليس مجرد نكرة وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف،وينتمي إلى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرموز و الصور.(3)

وفي حالة انعدام شعور الفرد بهويته نتيجة عوامل داخلية و خارجية يتولد ما لديه ما يمكن ان نسميه بأزمة الهوية.(4)

فان الباحثين اختلفوا في الشكل الذي يحدد الهوية،وفي هذا السياق انتقد أحد الباحثين(5) ما أسماه بالشكل الميتافيزيقي الذي تحدد هوية الأمم و الشعوب، ويقدم شخصيتها في إطار تصورات إنسانية أو نماذج مثالية دون الرؤية إليها كمجموعات حية

---

(1) مجلة الباحث, العدد الرابع عشر- تشرين الثاني- كانون أول- 1980, بيروت, لبنان ص 115.
(2) مجلة الباحث, نفس المصدر ص 115
(3) بشير خلف, السؤال للهوية وصدمة العولمة , مقال نشر بالموقع الالكتروني ضفاف الإبداع www.difaf.net
(4) محمد ارزقي بركان, التحول هل هو بناء الهوية أو تشويه لها, مجلة فكر ونقد, عدد 12, أكتوبر 1998,ص56 نقلا عن الموقع الالكتروني http//histoir.naktoobblog.com / 1152534
(5) نديم البيطار,حدود الهوية القومية,نقد عام, بيروت 1982,دار الوحدة ص11.
نقلا عن الموقع الالكتروني http//histoir.naktoobblog.com / 1152534 يوم 2010/12/14

تتميز باحتمالات تكتشف عن ذاتها في عملية تحققها ويطرح مقابل ذلك مقاربة سوسيولوجية ترى أن الهوية تتغذى بالتاريخ وتشكل استجابة مرنة تتحول مع تحول الأوضاع الاجتماعية و التاريخية.(1)

وإذا ما عدنا إلى تاريخ الجزائر وموضوع الهوية الجزائرية فإننا نرجع إلى أسباب منطقية منها: تاريخ الجزائر بالرغم من تشويه و تحريف الاستعمار الفرنسي له، إلا أنه ظل تاريخا معروفا لدى الخاص و العام.

لأن الاستعمار الفرنسي هو الطرف الوحيد الذي أنكر هوية الشعب الجزائري وجعل من ضمن مبررات غزوه للبلدان الجزائريين لا يشكلون أمة واحدة ولا شعبا متجانسا، وإنما هم عبارة عن أعراف مختلفة و قبائل متفرقة و متناحرة.(2)

و الواقع أن مسألة ثبوت الهوية أو تغييرها قد طرحت على محك المسألة و النقاش، وأثبتت المجادلات العلمية أن الهوية لأي مجتمع ليست أمرا ثابتا ، كما ذهب إلى ذلك المفكر المغربي " محمد عابد الجابري " ، بل يرتبط بالمؤتمرات الخارجية، وبالتداول العلمي للأفكار و الثقافات، كما يرتبط بالصراع على السلطة.(3)

وإذا ما ذهبنا إلى الهوية التي طرحت في العالم العربي ضمن خطابين رئيسيين: الخطاب القومي و الخطاب الإسلامي. وفي كلا الخطابين لم تكن الهوية محل تشكيك على المستوى الفلسفي الاستمولوجي.(4)

---

(1)نفس المصدر.

(2) مصطفى الاشرف, محاولات لتبرير الغزو الفرنسي في كتابه الجزائر الأمة و المجتمع, ترجمة حنفي بن عيسى, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1989, ص 261.

(3) الموقع الالكتروني Edinburghpress.university 2003

(4) شرفات للرؤية و العولمة والهوية والتفاعل الثقافي, سعد البازعي, المركز الثقافي العربي, ص4 ص ب 13/5158 , - بيروت - لبنان,/2006 – الدار البيضاء , المغرب

فالهوية في الخطابين حقيقة قارة لدى كل إنسان، وللمصالح السياسية و الثقافية دور في إملائها مثلما انه كانت هناك شروط موضوعية سواء استمدت من التاريخ أو الجغرافيا أو من الواقع السياسي المعاصر.(1)

وفي واقع الأمر أن طرح الهوية من هذه الزاوية كان ضروريا و ملحا في وجه الظروف الكثيرة التي تحيط بالعالم العربي لاسيما على المستوى السياسي، إذ تذكرنا مراحل الاستعمار و الاستقلال ثم بناء الدولة الوطنية والحاجة الملحة إلى بناء إطار الانتماء سواء كان عربيا أم إسلاميا. (2)

وقد لعبت الهوية في الواقع العربي الإسلامي دورا تحريريا من ناحية، ودورا توحيديا من ناحية أخرى.وهي في الحالتين أبعد مما تكون على الهامشية التي انحدرت إليها، غير أن الهامشية أو الأهمية الكبيرة التي احتلتها وما تزال في الحياة و الثقافة العربية.

ولاشك أن الهوية العربية التي بدأت في التشكل دستوريا منذ كتابة صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى يثرب(3)، انطلقت من مبدأ الإبقاء على الثوابت،ولذلك شاركت الهوية العربية في منظومة الإنتاج الحضاري وبناء التراث العالمي. (4)

كما ذهبت إلى ذلك الباحثة "بولامويا" بقولها:" لم تكن الهوية بالنسبة لأولئك المثقفين سلاحا ضد تعددية مهددة، وإنما هي ضد انمحاء الهوية تماما أي ضد استعمار يطحن الوجود المختلف للشعوب المستعمرة، أو يهمشها في أحسن الحالات"(1)

---

(1) نفس المصدر ص 37.
(2) نفس المصدر ص 37.
(3) محمد عابد الجابري, الهوية العربية من صحيفة النبي(ص) إلى تفكك الأخلاق.
الموقع الالكتروني http//histoir.naktoobblog.com/ 1152534
(4) نفس المصدر.

وتبقى بهذا اللغة العربية محافظة على ثباتها الايجابي باعتبارها مكونا أساسيا للهوية العربية التي طالما وقع فيها الاختلاف و التوافق.

ب* مفهوم الأدب الفرانكفوني:

إن الحديث في مثل هذا الموضوع يتطلب منا توضيح بعض النقاط التي قد تبدو غامضة لدى القارئ.

- وأول هذه النقاط هي تحديد مفهوم " الرواية الفرنسية " وما نقصده من هذه العبارة.فالرواية الفرنسية والتي نقصدها هنا هي الرواية التي كتبت عن الجزائر وتنقسم إلى قسمين:

الرواية التي كتبها الفرنسيون الأصليون الذي سمحت لهم الفرصة لزيارة الجزائر والإقامة فيها مدة من الزمن. *1

والرواية التي كتبها الفرنسيون المستوطنون في الجزائر،أي الكتاب الأوروبيون الذين نشئوا و ولدوا في الجزائر.

- أما النقطة الثانية التي لابد من توضيحها فتتعلق بهؤولاء الكتاب المستوطنين أنفسهم، ذلك أنهم ينقسمون بدورهم إلى فئتين: فئة جاءت إلى الجزائر من أجل الإقامة و الاستيطان، وفئة ولدت في الجزائر وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الوطن الجزائري. كما يجب أيضا أن نميز بين أدب فرنسي كتب عن الجزائر وأدب فرنسي كتب في الجزائر*2

---

(1)) شرفات للرؤية و العولمة والهوية والتفاعل الثقافي, سعد البازعي, المركز الثقافي العربي, ص 36

*1/ للحديث عن بداية الرواية الفرنسية في الجزائر, علينا أن نعود إلى فترة ما قبل الغزو الفرنسي لهذه البلاد, ذلك لان الجزائر لم تنشا في الأدب الفرنسي

*2 /مع ملاحظة إننا لا نعد الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية أدب فرنسيا بل هو أدب جزائري شكلا و مضمونا

فالأدب الفرنسي الذي كتب عن الجزائر جاء أصحابه من الخارج أي من فرنسا ذاتها و الأدب الفرنسي الذي كتب في الجزائر جاء أصحابه من الداخل أي من قلب أرض الوطن الجزائري و لكل واحد منهم طابعه الخاص و مميزاته.

إلا أن هذه الخاصية لا تنفي وجود علاقة بين الاثنين فلولا وجود أدب عن الجزائر كتبه أدباء جاؤوا من الخارج لما كان لدينا أدب كتب في الجزائر كتبه أبناء الجزائر أنفسهم.

إذن وجود الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية راجع لوجود ثقافة فرنسية قوية و مناخ مناسب و قد نشر معظم الرواد رواياتهم في فرنسا، و كان الجمهور الفرنسي يلتقي كتاباتهم و يتفاعل معها كما يتلقاها الجمهور الجزائري مع أدبه الجزائري.

هذا الأدب الجزائري " الذي لا يزال خاما و كل حديث عنه سيكون جديدا و طريفا مهما خلا من الشواهد".(1)

فانتقلت كوكبة من الكتاب الجزائريين تفتقت مواهبها الإبداعية ملقحة بالثقافة و الفكر الفرانكفوني.

هذا الأدب الجزائري الذي يجمع شقيه المكتوب بالعربية و المكتوب بالفرنسية على حد السواء باعتبار كل هذه الطوائف من الأدباء ترعرعت و عاشت على أرض واحدة هي الجزائر.

فبظهور هذه الفئة ظهرت أنواع معينة في الأدب الجزائري فهناك أدب جزائري مكتوب بالعربية و أدب جزائري مكتوب بالفرنسية و أدب فرنسي خاص بالمعمرين المولودين في الجزائر, و دار نقاش طويل مثلا حول الأدب الجزائري

---

(1)-أبو القاسم سعد الله.دراسات في الأدب الجزائري-دار الأدب-بيروت ط.1969 ص46

المكتوب بالفرنسية هل هو أدب عربي أم فرنسي؟و قد رست غالبية الآراء على أنه أدب عربي جزائري مكتوب بالفرنسية كما أن فرنسا انطلاقا من اديولوجيتها ترى أنه ليس أدبا فرنسيا لكونه لا يعبر عن فرنسا و الفرنسيين, بل يعبر عن الجزائر و الجزائريين.

كما قد تسببت مشاكل فقدان الجمهور بالنسبة لكتاب الرواية الفرنسية و ما نجم عن ذلك من تطورات بسبب استغلال الفرنسيين للموقف و فرضهم ضغوطا على بعض الأفراد و المناداة بالفرانكفونية، و أن الاعتراف بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية على أنه أدب عربي رغم انه مكتوب بالفرنسية على أساس أنه يتكلم على الجزائر و شعبها و قضاياها و اليوم يعيد النغمة الفرانكفونية التي هي الوجه الثاني لعملة واحدة.

وقد يتساءل متسائل عن الوضع الحالي هل هناك حقا تناقض بين الاعتراف بجزائرية الرواية أو الأدب المكتوب بالفرنسية ، وبين تواجد الفرانكفونية؟

فمهما يكن هناك صراع يعبر عن الرفض و محاولة فهم ذلك تتوقف على كيفية استيعاب مفهوم الفرانكفونية التي تعني الناطقين بالفرنسية أو فرنسي اللغة

و إذا تتبعنا المسألة وجدنا هذا الأدب مكتوب بها في أي بلد ،فإذا قلنا إن هذا أدب فرانكفوني أو فرنسي فان تسميته عاجزة عن تحديد هوية هذا الأدب .

إذ أن بلدان إفريقيا الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب) قد شهدت نشوء وتطور أدب كامل مكتوب باللغة الفرنسية.

وتستشهد في ذلك مجموعة من الأدباء على تأثيره.

فنشرت مؤلفاتهم في دور النشر الفرنسية، وهذا ما جعلنا نسأل عن أدب المنفى هل هو مفروضا أم إراديا ؟ (1)

---

1) جمال الدين بن الشيخ، معجم اداب اللغة العربية و الادب الفرانكفوني، ترجمة د-مصباح الصمد،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ص 483

فالميزة اللافتة في هذا الأدب منذ نشأته، أي خطيئته الأصلية بشكل من الأشكال هي طابعه المتناقض بشكل أساسي: انه أدب مكتوب باللغة الفرنسية لكنه ليس فرنسيا، أدب يحق له الادعاء أنه مغربي وهو يطالب بهذا الانتماء بشكل مشروع. إنما لا يستخدم لغته الأم الطبيعية. (1)

فيجب أن نتغاضى عن هذا المعطى الأساسي بسبب التشويش حول مفاهيم الفرانكفونية وازدواجيته،إذ أن اللغة العربية هي في أساس الثقافة الوطنية للبلدان الثلاث.

وقد ظهر مفهوم الفرانكفونية لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر 1880، وقد وضعه الجغرافي الفرنسي أوسيم ركلوس " للإشارة إلى الأشخاص و الدول التي تستعمل اللغة الفرنسية بأشكال مختلفة ولم تكن الحمولة الدلالية لهذه الكلمة قبل منتصف القرن العشرين تتجاوز ما المحنا إليه،بالرغم من دلالاتها الجغرافية و اللغوية تشير بصفة غير مباشرة إلى المستعمرات الفرنسية. (2)

فتواصلت الفكرة التي تقف ضمنيا وراء المفهوم في صورة ترتبط بمؤسسات المستعمرات الفرنسية بفرنسا، وبرزت في عدة مبادرات من بينها الإشارة في الخطاب الذي ألقاه الجنرال " ديغول " سنة 1944 وذلك أثناء المناقشات التي كانت تجري حول مشروع إنشاء الاتحاد الفرنسي بعد ح.ع.Π حيث تم إبراز العلاقة الخاصة التي تصل الدول الناطقة بالفرنسية بفرنسا.(3)

---

(1) جمال الدين بن شيخ,نفس المصدر.ص 483.

(2) الموقع الالكتروني: http:/www.atinternational.org. forums shonthrend يوم 2010/12/14 سا 14

(3) نفس المصدر.

وابتداء من ستينات القرن الماضي لم يعد مفهوم الفرانكفونية يطرح دون ردود أفعال مساندة أو معايدة،لقد تحول المفهوم المشروع إلى قضية تنسب إلى اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية وتستعين بالأدوات والوسائل المادية.

والفرانكفونية تحولت شيئا فشيئا من فكرة إلى مشروع إلى جملة من الوسائط المادية بهدف ظاهر يتمثل في التعادل بين الناطقين جزئيا أو كليا بالفرنسية ، إلى واجهة للهيمنة اللغوية والثقافية أولا، والهيمنة السياسية في نهاية التحليل. (1)

وتتمثل الأهداف المعلنة للفرانكفونية في التأكيد على مبدأ تحقيق التقارب بين الناطقين بالفرنسية لكن الأهداف البعيدة تتجلى أولا في وجود موقن من اللغات الإفريقية الأم، وفي النظر وبصورة ضمنية إلى الفرنسية باعتبارها لغة متفوقة على كل اللغات الأخرى.

فدخلت الفرانكفونية القرن الواحد والعشرين في صيغة جديدة،كشفت عنها "قمة هانوي" المنعقدة سنة 1997.

ويتمثل التوجه الجديد أو الصيغة الجديدة التي تكون اليوم المشروع الفرانكفوني في إبرازه للبعد السياسي باعتباره مكملا مركزيا للملامح اللغوية والثقافية. (2)

ومعنى ذلك أن الطابع المؤسس الجديد يتجه اليوم لتحويل الفرانكفونية إلى تنظيم دولي مكافئ للمنظمات الدولية و الإقليمية المعروفة كالجامعة العربية و المؤتمر الإسلامي ومنظمة الوحدة الإفريقية بهدف تحقيق الترابط و الاستقرار و التنمية بين مختلف الدول. (3)

---

(1) الموقع الالكتروني:http:/www.atinternational.org. forums shonthrend php ?p=40184 يوم 2010/12/14 سا 14

(2) نفس المصدر.

(3) نفس المصدر.

وما من شك في أن أسماء من الجيل الأول للفرانكفونيين العرب خاصة المغاربة قد تمكنت بقوة الموهبة و مهارة اللعب في الاندماج مع الجيل الفرانكفوني الجديد كما استمرت مع "أمين معلوف" و"طاهر جلون" و"محمد أركون" وغيرهم اللذين عالجوا قضايا الهجرة والاندماج وغياب الحرية والديمقراطية في الوطن المغربي الأم، واللذين أبدعوا في ا لكتابة بهذا النوع من الأدب. (1)

ج * نشأة و تطور الأدب الفرانكفوني:

اختلف النقاد العرب منهم والفرنسيون حول انتماء الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية وهويته، وعده كثير منهم من الأدب الفرنسي وامتدادا لكتابات المدرسة الجزائرية نظرا لكتابته باللغة الفرنسية،ولما أحرزه من نجاح و رواج في مجال النقد الأدبي الفرنسي وفي أوساط الجماهير الفرنسية.

أما في نظر الجزائريين، فقد كان الأدب ثانويا وليست له أية أهمية مادام قد لقي نجاحا كبيرا في الأوساط الفرنسية، فهو يماثل ذلك الأدب الفرنسي الذي كتب عن الجزائر وينقص من شأن الإنسان الجزائري، ويكتب بلغة عدوه ولجمهور غير جمهوره، وما دامت هذه الكتابات قد لقيت قبولا و تعاطفا لدى الجمهور الفرنسي فلا يمكن بأية حال أن تخدم القضية الجزائرية أو تعبر عن مطامح الشعب الجزائري نحو الحرية والاستقلال.

فقد قال الكاتب الجزائري "عبد الملك مرتاض" بهذا الشأن:".......إن رأيي في هذا الأدب سيء جدا، وقد أكون مخطئا فيما أرى،وقد أكون قاسيا فيما احكم،.....أن هذا الأدب غريب نفسه ومنفي من موطنه الذي كتب فيه، ولم يستطيع أن يلعب دورا

---

(1) الموقع الالكتروني:http:/www.atinternational.org. forums shonthrend php ?p=40184
يوم 2010/12/14 سا14

خطيرا في إذكاء نار الثورة التي فيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة." (1)

فاللغة الفرنسية في نظر هؤلاء المتمسكين بعروبتهم هي في الدرجة الأولى وسيلة المستعمر الذي يحاول اغتيال اللغة العربية ، ولذلك ينبغي الحذر و التخوف منها . و نحن مثلا إذا رجعنا إلى بعض المراجع و الكتب التي تهتم بتصنيف الأدب و الأدباء وجدنا بعض الكتاب الفرنسيين يدمجون بعض الأدباء الأهليين ضمن الأدب الكولونيالي ،وأدب أولائك الذين ولدوا في الجزائر من الأوروبيين و الذين كانوا يحسون بنوع من الانتماء إلى إفريقيا أكثر من أوروبا سنأتي إلى ذكرهم فيما بعد. كما تذهب بعض الآراء إلى أن الأدب الجزائري باللسان الفرنسي إنما وظف في فترة معينة و لإغراض معينة سلبية و ايجابية ، و لا شيء يدفع إلى الاعتقاد انه لاقى انتشارا كالذي يلاقيه اليوم الأدب العربي الذي يكتب لجمهور عربي عكس نضيره بالفرنسية. فقد دبت ظاهرة الهجرة في جيل كتاب أبناء المعمرين مع بداية الاستقلال ، و بذلك خف ضغطهم على البلاد بفقدانهم مراكزهم الحساسة في المجتمع ،فان قبيل نفس هذه الفترة قد عاصرت دخول جميع الكتاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية إلى بلادهم الجزائر و نظرا لظروف المرحلة لم يكن هناك مثقفون في مستواهم يؤلفون باللغة العربية .

فكان أن ازدهرت حركة التأليف باللغة الفرنسية و خاصة في الفن الروائي و المسرحي, فان إحصائية الفن المسرحي وحده تصل إلى 37 رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية بين 1945-1964 (2).توضح ضخامة الحركة الثقافية

---

(1) عبد الملك مرتاض, نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1945, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر . ص 21.

(2) الأخضر الزاوي بن بقاسم.المدنية الجزائرية قي الرواية الغربية بعد الاستقلال.رسالة ماجستير.ض-ص311

العريضة التي استمرت في النمو, و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على ازدهار الثقافة الجزائرية باللغة الفرنسية .أن ذلك ليس بغريب إذا عرفنا بوجود ثقافة فرنسية راسخة طوال قرن و ثلث القرن من الاحتلال . و هي مدة ليست بالقصيرة، و من ثمة فانه توجد طبقة عريضة مثقفة بالفرنسية تلقى دعما و تأييدا من الإدارة الاستعمارية التي صرحت بأنها أسست طبقات من مستعمراتها تدافع عن الثقافة الفرانكفونية ,فقد عمل على سياسته الإدماجية و محاربة اللغة العربية و القضاء على الشخصية الجزائرية و الإسلامية و مناداته بالفرنسية، و تمكين المثقفين بالفرنسية من الوظائف و الامتيازات و حرمان من يحاول التقرب إلى اللغة العربية و الخلفية التاريخية للمجتمع الجزائري توضح ذلك،فهذه هي السياسة الاستعمارية التي تهدف إلى التغريب و طمس الهوية الوطنية.

فلم تكن تنتهي الحرب العالمية الأولى حتى بدأت بوادر حركة أدبية جزائرية جديدة تظهر إلى الوجود حيث نشأ جيل من الكتاب لا يعرف اللغة الغربية و لا يستطيع التعبير عن أفكاره و مشاعره إلا باللغة الفرنسية.(1)

في حين يتخذ المؤرخ الأول للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية jean dejeux سنة 1920 انطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ .(2)

و يعد المؤلف" القايد بن الشريف" الموسوم ب " احمد بن مصطفى القومي "بداية تلك الانطلاقة، و ينظر إليه على أنه أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية كما أن التاريخ

---

(1) الجندي أنور(الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا .الدار القومية للطباعة و النشر .القاهرة 1965 ص22

(2) احمد منور.الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه.ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر بن عكنون ص133

الزمني 1935 يمثل فترة ازدهار الأدب الفرنسي المكتوب(1) عن الجزائر خلال مدة الاحتلال حيث ظهرت المدرسة الجزائرية ذات النزعة المتوسطية و التي يمثلها كل من " ألبير كامو ، ايمانويل روبلس و جول روا...الخ " فهي الفترة التي نشأت فيها الرواية الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية داخل أجواء هاتين المدرستين و اتجاهات كتابها.

و قد شهد الأدب الجزائري باللغة الفرنسية في الفترة ما بين 1940-1945 نشاطا و حيوية مكثفة تسارعت لتسبق التيار الموازي لكتاب فرنسيين بفرنسا أنفسهم،و الرواية الجزائرية قد نشأت و تطورت إلى أن وصلت إلى مرحلة النضج و التكامل و ذلك على يد كل من مولود فرعون، محمد ديب،مولود معمري و كاتب ياسين ... و كل ذلك بعد الحرب العالمية الثانية*.و ابتداء من سنة 1945 حيث بداية انتشار الوعي و زعزعة الأوضاع.

و إذا ما رجعنا مرة أخرى للمؤرخ و الباحث jean dejeux وجدناه يرجع أول نص كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى 1891 و هو عبارة عن قصة بعنوان "انتقام الشيخ" منتقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية كتبها "محمد بن رحال" و نشرتها "المجلة الجزائرية التونسية الأدبية و الفنية"(2)

ونفس الباحث عثر على نصوص لجزائريين في جرائد و مجلات كان يصدرها الفرنسيون في الجزائر في الفترة ما بين 1880-1920 حيث لم تعثر على نصوص قليلة موقعة بأسماء

---

(1) نفس المصدر ص133

*بعض الدارسين يرى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية هي الفترة الحقيقية لميلاد الرواية الجزائرية بل لولادة الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كله.

(2) نفس الصدر ص133

ذات "رنين" عربي مثل "الجزائري" و "الراوي" و "الفرياني" إضافة إلى "احمد بوري" الذي نشر في جريدة الحق رواية " مسلمون و مسيحيون" سنة 1912 (1).

أيضا "سالم القبي" الذي نشر سنة 1917 مجموعة شعرية بعنوان " حكايات و قصائد من الإسلام" و على هذا النحو ظهرت في الفترة ما بين 1920-1930 خمسة أعمال أدبية،فقد ظهرت رواية"زهراء امرأة المنجمي" لعبد القادر حاج حمو التي صدرت سنة 1925 (2)

و رواية "مأمون بدايات مثل أعلى" "mamoun lebanded in ideal " لشكري خوجة" صدرت سنة 1928 ورواية "العلج أسير بربروسيا" للكاتب نفسه 1929(3). أما فيما يخص الروايات التي ظهرت في فترة ما بين 1929 – 1948 فهي لا تتعدى سبع روايات مثل رواية " مريم بين النخيل" 1934 لمحمد ولد الشيخ "بولتوار فتى جزائري" 1941 لرابح زناتي و "ليلى فتاة جزائرية"1948 لجميلة دباش (4) إضافة إلى ظهور أعمال أخرى لنفس المؤلفين المذكورين و لمؤلفين آخرين تعززت بهم و بأعمالهم النزعة الاحتجاجية التي غرف بها الأدب الجزائري الفرنسي اللسان في فترة الخمسينات لتتحول مع الوقت إلى نزعة نضالية ثورية في أعمال "مالك حداد،كاتب ياسين، و آسيا جبار...." و في توافق مع الأحداث السياسية التي تطورت بداية من سنة 1954 إلى كفاح مسلح دام 7 سنوات و نصف.

---

(1) نفلا عن احمد منور.الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه.ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر بن عكنون ص 88

(2) نفس المصدر ص88

(3) نفس المصدر ص107

(4) نفس المصدرص108

أما بالنسبة لنظم الشعر في هذه المرحلة فقد اصدر "حداد" ديوانا بعنوان:"الشقاء في خطر"1956، فيكون الشاعر بهذا قد أعطى للشعر المنظوم بالفرنسية من قبل الجزائريين دورا رائدا و متميزا في التغني بالثورة و التحريض على المقاومة.

و في مجال المسرح سارت معظم المسرحيات التي ظهرت في هذه الفترة في الاتجاه الثوري و أهمها حسب اهتمام النقاد، تلك التي قدمها "كاتب ياسين" مسرحية "الجبة المطوقة" و " الأجداد يزدادون ضراوة" التي عرضت على خشبة المسرح أثناء الثورة التحريرية في بروكسل إضافة أعمال أخرى نذكر منها مسرحية "احمر الفجر" 1969لاسيا جبار مسرحية "الرجل ذو النعل المطاطي" 1970 لكاتب ياسين و التي عرضت على خشبة المسرح الوطني الجزائري بلغتها الأصلية الفرنسية تمت باللهجة العامية(1) و تليها أعمال كثيرة أخرى يطول ذكرها.

أما بالنسبة للقصة القصيرة باللغة الفرنسية فمثلها مثل الشعر، لم تحض بالأهمية و لا بالأولوية لدى الكتاب و لدى القراء، و تأتي في الدرجة الرابعة من حيث الاهتمام بها بعد الرواية و الشعر و المسرحية.(2)

و كان رائد القصة القصيرة الأول "محمد ديب " بمجموعته الأولى "في المقهى)سنة 1955.

---

(1) نقلا عن احمد منور.الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياه.ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر بن عكنون ص 113

(2) نفس المصدر ص113

المبحث الثاني:

ا* صورة الجزائر من خلال أدباء و أعلام الوطن العربي:

إن الثقافة العربية وما حملته من بعض أبنائها اللذين وقعوا تحت ضغوط عديدة ماهي إلا دافع لاسترادة التمسك بها.

وأدباء الجزائر في هذه المرحلة قد أبدعوا بلغة الاستعمار وضد الاستعمار اذ كانت كتاباتهم مستوحاة من واقع الشعب الجزائري ومن هذه الروح اكتسبت الأعمال الإبداعية بالفرنسية قوتها و خصوصيتها المميزة.

ومن ثم "مولود معمري" و "مولود فرعون" و"محمد ديب" و "كاتب ياسين".....الخ إلا من هؤولاء اللذين تعرضوا لتأثيرات الثقافة الفرنسية وسياسة الطمس التي مسحت هويتهم ومزقت شخصيتهم وأصالتهم، وبالتالي لا يمكن أن تزول أثار هذه الممارسات بين عشية وضحاها بل تحتاج المسالة إلى وقت طويل مليء بالنضال المخلص لإعادة إبراز الهوية الوطنية على الوجه المطلوب.

ويذهب البعض إلى القول بأن أمثال "كاتب ياسين" يتلقون دعما وتشجيعا مضاعفا خارجيا من فرنسا، وداخليا من بعض المتفرنسين المتطرفين.

كاتب ياسين:

يعد من الكتاب الجزائريين الذين اشتهروا بالتعقيد في كتاباتهم والغموض في شخصيتهم، مما دفع معظم النقاد والدارسين إلى دراسة إنتاجه الأدبي دراسة جدية ترمي إلى حل ألغازه ورموزه.

فكان ذلك سببا رئيسيا في اكتساب الكاتب شهرة عظيمة، وكان النقاد منقسمين حوله إلى قسمين: منهم المناصرون, ومنهم المناهضون، وقد كان حظه من المناصرة في المرحلة الأولى أي قبل الاستقلال أكثر بكثير من حظه في ذلك بعد

الاستقلال،وذلك لأن معظم كتاباته بعد الاستقلال كانت تكشف عن موقف معاد للسلطة والعادات والتقاليد.

ولد "كاتب ياسين" في السادس من أوت 1929 في مدينة قسنطينة،كان والده من أبناء القبائل الكبرى يشتغل بالمحاماة ، دفع به أبوه إلى الكتاتيب ليدرس اللغة العربية والقران الكريم ثم ما لبث أن ألحقه بمدرسة فرنسية.(1)

وكغيره من الكتاب استاء "كاتب ياسين" في بداية الأمر من دخوله المدرسة الفرنسية وتعلمه اللغة الفرنسية، إذ كان يطلق عليها عبارة " فم الغول" أو " فم الذئب" (2)

فوجد نفسه يعيش مفرقا بين عالمين مختلفين وبين ثقافتين مختلفتين، فشعر بنوع من الانفصام في الشخصية ونوع من الانفصال عن مجتمعه و وطنه، فعاش ذلك الصراع شأنه في ذلك شأن زملائه، وسجله تسجيلا صادقا في كتاباته الأدبية .

وقد كان "كاتب ياسين" كثير التجوال والترحال منتقلا تارة بين الجزائر وفرنسا وتارة بين الجزائر وأوروبا، وتارة بين الجزائر والبلدان العربية وتارة أخرى بين مدن الجزائر ذاتها.

وقد كان سببه في ذلك من جهة البحث عن العمل خاصة بعد أن توفي والده عام 190 وترك له مسؤولية إعالة أسرة كبيرة مكونة معظمها من النساء، ومن جهة أخرى اندلاع حرب الجزائر، فدفع إلى اتخاذ طريق النفي هربا من ملاحقات الاستعمار الفرنسي، زار كثير من البلدان ودخل السجن وهو لا يزال مراهقا، وكان ذلك خلال المظاهرات التي قام بها الشعب الجزائري في 08 ماي 1945 ،

---

(1) نقلا عن علجية مرحوم, القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية , دراسة مقارنة 1935-1962 , رسالة ماجيستير .ص 109

(2) نفس المصدر . ص 110

فكانت تلك الحوادث صدمة قوية بددت أحلامه المراهقة ووضعته في خضم المأساة الوطنية.(1) ظلت صور أكداس الجثث وأكوام الجرحى التي كانت تملئ الشوارع تطارد خياله في مسرحيته " المرأة المتوحشة" وفي كل أعماله.(2) وبعد مشاركته في الحوادث فصل من المدرسة وسجن، ومن ثم تعرف على شعبه واكتشف أسرار دفعته إلى الانخراط في الحركات السياسية، والى الكتابة الفنية والشعرية.فكان ينشر أشعار ومقالات في جريدة " الجزائر الجمهورية " حيث كان يشتغل مراسلا صحافيا مع زميله "محمد ديب" 1949. (3) كما كان قبل ذلك ينشر في فرنسا بعض محاولاته الأدبية في جريدة " Mercure de France" وكان ابرز ما نشر فيها قصيدة " نجمة" سنة 1948. (4)

أما الآثار الأدبية التي تركها فهي غزيرة نذكر منها في المجال الروائي:

- "نجمة" Nedjma 1956
- النجمة المضلعة 1966

وفي المجال المسرحي:

- دائرة الانتقام 1959
- المرأة المتوحشة 1963
- الأجداد يضاعفون الشراسة 1967
- مسحوق الذكاء 1967.
- أما في المجال الشعري فليس له سوى مجموعة شعرية Soliloques

---

(1) نفس المصدر . ص 110

(2) سعاد محمد خضر, الأدب الجزائري المعاصر, دراسة أدبية نقدية , منشورات المكتبة العصرية, بيروت, 1967 ص 112.

(3) نقلا عن علجية مرحوم, القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية , دراسة مقارنة 1935-1962 , رسالة ماجيستير . ص 111

(4) نفس المصدر ص 112

مولود معمري:

عرف جمهور كبير من الشباب الذين درسوا روايته "الافيوم و العصا" في الثانويات وكذلك جمهور كبير من الشعب من رواياته و محاضرته التي كان يلقيها تارة في الجزائر وتارة في فرنسا، ولقد التفتت الأنظار إليه في مناسبات متعددة لاسيما بعد أن أصبح على رأس اتحاد الكتاب الجزائريين فأصبح موضوع جدال ومناقشة بين الناس.

وقد شلت هجمات على مولود معمري سنة 1953 بعد ظهور روايته الأولى(الهضبة المنسية) la colline oubliée حيث اتهموه بعدم الالتزام بقضية شعبه و مشاكل وطنه و وليهم في ذلك صور الفوز الذي أحرزته في الوسط الفرنسي و في الصحف الفرنسية،فلو كانت فعلا تمثل بلاد الجزائر و الشعب الجزائري لما نالت إعجاب الفرنسيين. و قد دافع عن نفسه و بين اتجاهه من قضية وطنه و موفقه منها و ذلك من خلال ملتقيات فيقول"معمري" حول روايته (الهضبة المنسية) ردا على اتهامه بعدم الالتزام " أنها لرواية جزائرية حول حقائق جزائرية ، و رواية بهذه الصفة لا تخدم سوى القضية الجزائرية".(1)

ولد مولود معمري في 28 ديسمبر 1917 في جبال القبائل الكبرى ،حصل والده على الشهادة الابتدائية، و كان يتكلم اللغة الفرنسية بطريقة سليمة إلى درجة انه كان يحفظ أشعار فكثور هيجو و غيره.....(2)

و في الحادية عشر من عمره ذهب إلى عمه في الرباط حيث دخل إلى القسم السادس أي السنة الأولى من التعليم المتوسط، فقد كان ذلك صدمة ثقافية جاءت عن طريق الثقافة الغربية التي استطاع أن يكتشف من خلالها عالما كان أجنبيا

---

(1) نقلا عن علجية مرحوم .القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية.دراسة مقارنة 1935-1962-رسالة ماجيستير ص 101

(2) نفس المصدر ص 102

عنه، و قد رافقه ذلك الصراع الثقافي و الحضاري مدة طويلة من الزمن .بعدها بأربع سنوات دخل إلى الجزائر و كان يدرس في ثانوية Bugeaud ثم انتقل إلى ثانوية louis le grand في باريس و كان يفكر في الوقت نفسه في مدرسة تكوين المعلمين العليا.

بعد سنتين وجد نفسه مجندا تحت راية الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية. وبعد أدائه للواجب العسكري رجع إلى باريس وشارك في مسابقة أساتذة الأدب، وبعد نجاحه بامتياز دخل الجزائر سنة 1947، وكان أستاذ في المدية وبعدها في بن عكنون حيث كان يدرس الآداب الفرنسية.

وبعد اندلاع حرب جبهة التحرير الوطني بدا الكاتب بتأليف مسرحية " le foelin " لكن الاستعمار حتم عليه تمزيق تلك المسرحية، واللجوء إلى المغرب الأقصى هربا من تعسف السلطات الفرنسية، بعد أن القي القبض على ثلاثة من أفراد عائلته.(1) ولم يدخل إلى الجزائر سوى سنة 1960

يتمثل إنتاجه الأدبي في ثلاث روايات:

- الهضبة المنسية 1952 الأفيون و العصا 1965
- السبات العادل le sommeil du juste 1955
- بالإضافة إلى هذه الروايات للكاتب دراسات أخرى وأعمال نشرها في مجلة Résolution africaine

(1) نقلا عن علجية مرحوم .القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية.دراسة مقارنة 1935-1962-رسالة ماجيستير ص 101

و للوطن العربي وأعلامه نصيب في الأدب الفرانكفوني نأتي على ذكر الروائيين: "طاهر بن جلون" و " آمين معلوف"

طاهر بن جلون:

طاهر بن جلون مغربي الأصل. الحائز على جائزة غونكور Goncourt الفرنسية سنة 1987 عن رواية " ليلة القدر" la nuit sacrée التي صدرت في نفس السنة.

كان هذا الفوز إعلانا عن انتماء هذه الرواية إلى الأدب الفرانكفوني لكن قارئها يكتشف على الفور أن هذه الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية تستلهم البيئة المحلية المغربية.

فمنذ أواخر النصف الأول من القرن الماضي ظهر كتاب مغاربة يكتبون باللغة الفرنسية ليعبروا عن واقع محلي مغاربي بقصد مناهضة التبعية الثقافية لفرنسا. (1)

فطاهر بن جلون كان من بين هؤلاء الكتاب الذين لم يستطيعوا الكتابة باللغة العربية فقد كان وضعهم من جملة تبعات الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى إضعاف القدرة على التعبير باللغة العربية، هذه الأخيرة التي تعد مظهرا من مظاهر الهوية القومية. وعلى الرغم من استقلال الدول العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن تبعية الظاهرة مازالت منتشرة. فقد أصدرت رواية "ليون الإفريقي" leon l’africain للروائي "آمين معلوف" اللبناني الأصل وقد فازت بجائزة "الصداقة الفرنسية العربية" سنة 1986. لتليها بعد ذلك سنة 1987 رواية طاهر بن جلون كما سبق وذكرنا.

---

(1) ركيبي عبد الله, القصة الجزائرية القصيرة, الدار العربية للكتاب,تونس. ط م, 1972. ص 43.

الطاهر بن جلون كان من بين هؤلاء الكتاب الذين اختاروا الكتابة بالفرنسية على الرغم من أنهم غير عاجزين عن الكتابة بالعربية.

فقد سئلوا مرارا في الحوارات التي تجرى معهم في الصحافة العربية عن سبب اختيار الكتابة بالفرنسية، وكان لكل سببه الخاص.

والطاهر بن جلون يسوغ اختياره الكتابة باللغة الفرنسية بأنه خوف على العربية لا لأنه لا يجيدها، ولكن لاختلاف إتقانه، للغتين, فيقول:" أحسن أداة كنا نتقنها هي اللغة الفرنسية وحفاظا على اللغة العربية, ولكي لا نتعسف عليها ونشوهها فضلنا او فضلت أنا شخصيا أن أتقن أكثر اللغة الفرنسية حتى يكون العمل الإبداعي الذي أقدمه في المستوى، وقد حاولت بعض الفئات في الستينات و السبعينات أن تجعلنا نحس بالذنب بسبب الكتابة بلغة هي ليست لغة البلد الأم، ليس الأساس هو اللغة وإنما ما يكتب"(1)

وفي حوار أيضا وجه إليه هذا السؤال " بعض النقاد يقولون أننا حينما نقرا رواية للطاهر بن جلون هو في خدمة إيديولوجيا أروبية تريد أن تعطي عن عالمنا صورا عنيفة فلكلورية،ماهو رأيك في هذا؟"

أجاب:" انه رأي و وجهة نظر وليس لي أن أرد على رأي بعض الناس،إني لم اسمع إلى هذا الرأي, وقد تكون أنت استمعت إليه في المقاهي...."(2) وللكتابة الفرانكفونية اثر على طاهر بن جلون،حيث يرى أن الكتابة عن بلده باللغة الفرنسية أتاحت له فرص الكتابة عن موضوعات لم يكن ليتعرض لها لو انه كتب بالعربية.

فيقول:" بعيدا عن الوطن يتمتع المرء بحرية أوسع ويمتلك جرأة اكبر

---

(1)نورة فرج,ارتباكات الهوية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, المغرب.ط 2007.ص 10

(2) نفس المصدر،ص 10

تمكنه من التعبير عن آراءه و أفكاره دون قيود،إلا انه ينبغي رؤية الوطن الأم عبر مصفاة اليومي بعمق و مصداقية، لأنهم يعايشون هذا الواقع و يعانون منه،وعلى المغترب أن يحدد المسافات الصحيحة بين هذا وذاك، اظن أن المنفى سمح لي بالتطرق إلى مواضيع محرمة في بلادنا مثل الجنس و وضع المرأة تحت نقد السلطة" (1)

فوضع المرأة هو الموضوع الذي عرضت له " ليلة القدر" حيث البطلة موزعة بين هوية ذكورية حاضرة وهوية أنثوية غائبة.

(1) نورة فرج,ارتباكات الهوية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, المغرب.ط 2007.ص 10

أمين معلوف:

أمين معلوف لبناني الأصل فقد كان السبب الرئيسي لاختياره الكتابة بالفرنسية للعيش في فرنسا وظروف النشر التي مر بها. فيقول: " لم أقرر في يوم اللغة التي سأكتب كتبي بواسطتها، جرت الأمور وفقا لأمرين: أولا ظروف الحرب جعلتني أسافر،وصلت إلى باريس،وبحثت عن عمل فوجدته في مجلة فرنسية، فبدأت العمل فيها وخاصة أنها تهتم بشؤون افريقيا ....في المجلة التقيت ساذجا على علاقة بدار النشر،تحدثنا على الصليبين فقال "إن دار النشر تهتم بهذا الموضوع ، عرضت المشروع على الدار فوافقوا عليه فكتبته،لم يطرح الأمر و لا في أي لحظة بأية لغة سأكتب،لقد كانت دار النشر تنتظر الكتاب بالفرنسية فكتبته. ما أريد قوله أنني لم أكن في وضع قررت فيه أن اكتب أو تساءلت فيه بأية لغة،سياق الحياة جعلني بعد سبع سنوات من العيش في فرنسا أن ادخل في هذا السياق"(1)

وفي حوار مع عدد من الكتاب العرب الفرانكفونيون وجه سؤال: لماذا اخترت الفرنسية للكتابة؟ فكان جواب أمين معلوف :" أظن أن عوامل عدة ساهمت في هذا الخيار لكن يبدو لي بعد هذه المسافة الزمنية، إن العامل الحاسم كان انتقالي إلى فرنسا سنة 1976، فلو بقيت في لبنان لربما كتبت بالعربية، ولو ذهبت إلى لندن أو نيويورك لربما استهوتني الكتابة بالانجليزية" (2)

وأمين معلوف قد طرح رؤية للعلاقة بين الشرق و الغرب،حاول بنائها من خلال استعادة نماذج من الماضي. يقول:" اعتقد بان العرب بحاجة دائمة إلى الشرق، والغرب عنده القدرة المادية ولكنه بحاجة إلى الشرق لان الشرق هو موطن الحلم

---

(1) نورة فرج,ارتباكات الهوية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, المغرب.ط 2007.ص 12
(2) نفس المصدر,ص 12.

والابتعاد عن الحياة اليومية،وبما أن الغرب لم يعد يجد في الشرق اليوم ما يبحث عنه فانه يبحث في شرق الماضي،واعتقد أن اهتمام الجمهور الغربي بهذا الكتاب الأخير "سمرقند" يعود إلى اهتمامه بالشرق بصورة معينة الشرق للمشرق....وأنا أحاول دائما أن أعود إلى المراحل التي كانت فيها تلك المشاركة مشاركة حقيقية لان أهمية أي حضارة هو مدى مشاركتها في الحضارة الإنسانية

وأحاول كذلك أن اروي قصصا عن مراحل قديمة، قصصا تجعل شخصيات الشرق اقرب إلى قلوب الغربيين وبالتالي تجعل الشرق اقرب إلى قلوب القراء حتى إذا كانت الأحداث اليومية تبعد هؤلاء القراء عن الشرق وعن القيم الحقيقية التي يمنحها الشرق الإسلامي" (1)

---

(1) نورة فرج,ارتباكات الهوية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, المغرب.ط 2007.ص 13

ب* صورة الجزائر في الكتابات الكولونيالية من خلال أعلامها:

-رغم بروز رواد في الرواية الفرنسية فهناك طبقة من أبناء المعمرين الفرنسيين الموجودين في الجزائر أمثال "ايمانويل روبلس"،" لويس بارترون" الذي كان أول من كتب عن الجزائر و "ألبير كامو" الذائع الصيت آنذاك و المعروف من الجميع بواسطة أعماله الكثيرة التي خصص جزءا منها للحديث فيه عن الجزائر التي ولد و نشا فيها، و قد كان لهذه الطبقة جمهورها من المعمرين الأوروبيين لكونها تعبر عن ظروفهم و تمسهم مباشرة، و كذلك لها جمهورها من الجزائريين و خاصة من الطبقات المحظوظة من المجتمع،و قد ذهب بعضهم إلى مؤلفات "ألبير كامو" (سوء تفاهم malentendu) (الغريب l' étranger) تعطي انطباعا عن الشعور بالغربة في البلد الأم الذي ولد و نشا قيها الكاتب، لكنه ظل يكابد مرارة هذا الشعور نتيجة تبنيه لأفكار و التزامه بأهداف معينة.

و هو يخدم سياسة الإدارة الاستعمارية تجاه الأهالي التي تهدف إلى التغريب و طمس الهوية الوطنية.

و المتطلع لرواية "الطاعون" يلمس جانباها السياسي و التي أثارت جدلا واسعا،فقد كتب "كامو"يقول(أننا نعيش عصر المدن الكبرى هذه المدن التي شوهت استقرار العالم و صفائه أي الطبيعة و البحر،فهي كالطاعون المنتشر في العالم كله).(1)

بالنسبة لهذه المرحلة التي خصصها الكتاب الفرنسيون على اختلاف تخصصاتهم أدباء،مؤرخين و رحالة و ذلك لتزامن هذه الحقبة مع المد الاستعماري الفرنسي و

(1) كامو البير الطاعون ترجمة د.سهيل اقمرين.-طلاس للدراسات و الترجمة و النشر دمشق 1984 ص 21

الذي حاول بكل الطرق معرفة المجتمعات التي يستعمرها قصد التمكن من بسط سيطرته عليها فكريا أولا و عسكريا ثانيا، و لهذا السبب خصت الجزائر بالعديد من الدراسات من طرف الفرنسيين في هذه المرحلة حتى غدت موضوعا متكامل الملامح في كتاباتهم المختلفة نأتي على ذكر البعض منهم.

ألبير كامو Albert camus

يعتبر من أشهر الكتاب الفرنسيين الذين ولدا في الجزائر و كتبوا عنها بل اتخذوها مادة خام لمختلف نتاجا تهم الأدبية و الفنية .

ولد في السابع من نوفمبر 1913 في "الذرعان monobromi " حاليا ولاية عنابة من أب فرنسي من الالزاس و أم اسبانية ، ثم شارك في الحرب العالمية الأولى فقتل في إحدى معاركها سنة 1914 أي بعد سنة واحدة من ولادته، الأمر الذي اجبر والدته على التنقل إلى مدينة العاصمة،و الاستقرار في بيت و والدتها الذي كان محله في احد أحياء العاصمة الشعبية ، و في ذلك الحي قضى "كامو" سنواته الأولى وسط الفقر و البؤس و الحرمان (1).

دخل إلى المدرسة الابتدائية سنة 1917 في حي بلكور و سنة 1924 انتقل إلى التعليم الثانوي، حيث بدأت فلسفته في التكون تدريجيا.(2)

و بعد أن حصل على شهادة الباكالوريا سنة 1930 ظهرت عليه بوادر مرض السل و سنة 1931 انتقل إلى التعليم الجامعي للحصول على ليسانس في الفلسفة

---

(1) نقلا عن علجية مرحوم.القضية الجزائرية في الرواية الناطقة بالفرنسية .دراسة مقارنة 1935-1962 رسالة ماجستير ص 368

(2) نفس المرجع ص 368

و لم يستطع مواصلة الدراسات العليا بسبب مرضه الذي منعه من تقديم شهادة التبرير،انضم إلى الصحافة و إلى جريدة " الجزائر الجمهورية" Alger républicain" 1938 تزوج كامو في سن مبكرة سنة 1933 و كان عمره آنذاك 12 سنة، لكنه لم ينجح فاضطر أن يطلق بعد سنة واحدة.(1) انضم إلى الحزب الشيوعي سنة 1934 لكنه استقال.

و قد شرع بعد ذلك في كتابة الصفحات الأولى، من مقالاته الأدبية "الوجه و القفا" نشرت سنة 1937 ، وفي سنة 1936 يناقش كامو دبلوم الدراسات المعمقة في جامعة الجزائر حول العلاقات القائمة بين الهيلينية و المسيحية (2)

وأثناء فترة عمله بجريدة "الجزائر الجمهورية" كتب سنة 1938-1939 تحقيقا حول وضعية العرب في الجزائر عنوانه" البؤس في القبائل" la misère en Kabylie وفي سنة 1940 يعقد كامو زواجه الثاني وتقرر السلطات الفرنسية نفيه إلى باريس بسبب التحقيق الذي نشره.

ثم يشرع في كتابه "الغريب" و"أسطورة سزيف "، ليعود إلى الجزائر مرة ثانية، وبعد اندلاع الثورة الجزائرية، وجه كامو نداء من اجل هدنة مدنية .

وفي 17 أكتوبر 1957 تمنح أكاديمية الملكية في "ستوكهولم" جائزة نوبل لكامو. (3)

وفي سنة 1958 يقترح كامو حلا لازمة الجزائر نشره في:

(1 نقلا عن علجية مرحوم.القضية الجزائرية في الرواية الناطقة بالفرنسية .دراسة مقارنة 1935-1962 رسالة ماجستير ص 368

(2) نفس المرجع ص 368

(3) يحياتين محمد,مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية,ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر,1984 ص 18

"الوقائع الجزائرية" les chroniques algérienne وقد وافته المنية في حادث سيارة سنة 1960 بباريس.

ويمكن أن نورد نتاجه الأدبي فيما يلي:

- الغريب l'étranger
- الطاعون la peste
- السقطة la chute
- المنفى والملكون l'exile et le royaume

المسرح:

- كاليغولا caligula
- سوء التفاهم le malentendu
- العادلون les justes (1)

---

(1) نقلا عن علجية مرحوم.القضية الجزائرية في الرواية الناطقة بالفرنسية .دراسة مقارنة 1935-1962 رسالة ماجستير ص 368

ايمانويل روبلس Emmanuel Roblès

عرف الكاتب بالتزامه بقضايا العدل ومحاربة الظلم والاستبداد.ولد يوم 04 ماي 1914 في مدينة وهران من عائلة عمالية، وقد عاش طفولته مشردة قضاها في الفقر و البؤس .بعد نجاحه في المدرسة العليا للأساتذة في الجزائر العاصمة استقر هناك بصفة نهائية أدى واجبه الوطني في مدينة البليدة،درس الاسبانية في كلية الآداب واشترك في الوقت نفسه في جريدة " الجزائر الجمهورية" التي كان البير كامو رئيسا تحريرها.وقد ألزمت الحرب "روبلس" بان ينقطع عن دراسته ليصبح فيما بعد مترجما للجيش ثم بعد ذلك ضابطا مترجم ، لينتقل بعدها إلى مراسل للحرب سنة 1943.وبعد حنين قوي للجزائر عاد إليها سنة 1947 وأسس فيها مجلة أدبية أطلق عليها اسم "فورج" forge

وتحت تأثير حوادث 08 ماي 1945 كتب روبلس روايته المشهورة "مرتفعات المدينة" وأثناء حرب الجزائر ناضل في حركة أمل الجزائر-لكنه فضل بعد الاستقلال الذهاب إلى باريس والعمل في مطبعة " لوساي" le senill

حصل على الجائزة الأدبية الجزائرية الكبرى سنة 1943و جائزة الرواية الشعبية في باريس 1945. أما نتاجه الأدبي فهو:

الروايات:

* العمل	* مرتفعات المدينة
* واد الجنة	* هذا يسمى الفجر
* عمل الإنسان	* الخناجر

المقالات و القصص: * ليل فوق العالم * الموت المواجه * رحل افريل.

المسرحيات:* الحقيقة ماتت الناقوس* المرافعة من اجل متمرد * البحر الحر.

نقلا عن علجية مرحوم.القضية الجزائرية في الرواية الناطقة بالفرنسية .دراسة مقارنة 1935-1962 رسالة ماجستير ص 385

الفصل الثاني:

دراسة تطبيقية عن رواية سأهبك غزالة

قراءة الرواية

<u>المبحث الأول</u>

ملامح الهوية في الرواية

ملامح بيئية

ملامح شخصية

<u>المبحث الثاني</u>

مفهوم الالتباس

تجليات الالتباس

- الالتباس اللغوي

- التباس الهوية الوطنية

- الالتباس الثقافي

-الالتباس الديني

قراءة الرواية:

وجد الأدباء الجزائريين في الفن الروائي الشكل الملائم للتعبير عن قضيتهم وقضية شعبهم , والوعاء المناسب لنقل حياتهم وحياة مجتمعهم المستعمر.

وذلك لما رأوا فيه من قدرة فريدة على مسايرة الواقع والتعبير عن الجزئيات والتفاصيل

فتجلت بذلك خصائص الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية ومميزاته في فن الرواية إلى أن ذاع صيته بين أرجاء العالم وارتقى إلى مصافي الآداب العالمية بواسطة هذا الفن.

وبالطبع فانه بالنظر إلى عدد الروايات الكبير نسبيا، التي ظهرت في الفترة المحددة فقد كنا مضطرين إلى نوع من الانتقاء لا شهر الروايات وأكثرها تمثيلا للمرحلة التي ظهرت فيها، والى مراعاة مدى ما تتوفر عليه من مظاهر معبرة عن موضوع الهوية، ومدى استجابتها للتحليل الذي يركز أساسا على المظاهر، ولا يلتفت إلى بقية الجوانب الأخرى إلا بما يخدم الموضوع الرئيسي، وعليه فقد كان اختيارنا لرواية " سأهبك غزالة" لمالك حداد التي تعقد مقارنة بين عالم فرنسي مادي وعالم جزائري رومانسي.

والرواية المشار إليها، فيها تمزقا اشد وضوحا بين هويتين؛ هوية فرنسية فرانكفونية و هوية جزائرية عربية.

ومالك حداد من خلال هذه الرواية ينقل لنا صورة واقعية عن مشاعره وانطباعات عدد من أفراد الشعب الجزائري الذين عانوا من الوضع نفسه ومن التجربة ذاتها أثناء فترة حرب التحرير.

ففي رواية "سأهبك غزالة" يروي لنا قصة حب بين سائق شاحنة وفتاة تعيش في الصحراء بدلالاتها و انطباعاتها.وحول مدى وقوع التباسات الهوية بغية تشكيل هوية جزائرية عربية محضة.

حيث يطرح الكاتب قضية الالتزام من خلال قصة حب كانت موضوع مخطوطة فلم يستطيع الكاتب نشرها بسبب اندلاع الحرب في بلاده.

وهذه الرواية كتبت بالفرنسية ونشرت في دور النشر بفرنسا، حيث أن "مالك حداد" لم يختر الكتابة بالفرنسية بل اجبر عليها على حد قوله،إذ انه غير متمكن من العربية حيث يقول في مقدمة روايته:" اللغة الفرنسية حاجز بيني وبين وطني اشد وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسط ...وأنا عاجز على أن اعبر بالعربية عما اشعر به بالفرنسية...إن الفرنسية لمنفاي...."(1)

تقوم الرواية على نمطين من السرد حيث نجد "المؤلف،مولاي" ففي البداية يقدم الراوي بصيغة ضمير الغائب لكن سرعان ما تتدخل شخصية "مولاي" لتقتحم عالم السرد ،ثم لا يلبث أن يختفي ليعود الراوي من جديد و هكذا نجد روايتين إحداهما غائب خطي عالم بكل التفاصيل بينما الآخر حاضر و فاعل بدوره .و لكن شخصية الراوي الخارجي هي الطاغية و المسيطرة على القصة كما لها حيزا اكبر من الحيز العام لرواية.

كما نلاحظ أن الراوي في هذه الرواية يميل إلى الاستطراد و إلى التعقيب على الشخوص أو على الحوادث إما بالشرح و إما بالتبرير أو غيرهما "كان يؤكد و يثبت، و كان شعره ابيض ...."(2) "كان ذلك منذ مائة ألف سنة تقريبا،و

---

(1)مالك حداد ساحبك غزالة-تعريب صالح الفرمدي. الدار التونسية للنشر 1968 المقدمة

(2)نفس المصدر ص 72

كان ذلك الشعر زاخرا بالأغاني ،وكانت أبياته تعبق بأريج حبق الغني.
انشدها"نوارة" لم توجد قط، انشدها في القرية الدافئة المشرقة على الوادي الأزرق و لعل القرية انقرضت و اندثر أثرها".(1)

الرواية عرض لحياتين، حياة عاشها المؤلف في فرنسا و حياته متخيلة، و المخطوط يحكي قصة حب متخيلة تجري أحداثها في الجزائر.

كما أن الرواية تمشي في مسارين؛ مسار المخطوط و مسارا لأحداث.فالمخطوط مساره منفصل عن الأحداث و لا يتأثر به فهو منغلق على ذاته.أما الأحداث فهي تبنى حول المخطوط و تدور حوله بوصفه ممركز الأحداث.

وبطل هذه الرواية يعاني من إشكالية التعاطي مع هويته الجزائرية إذ انه يعيش في باريس نتيجة الاحتلال الفرنسي للجزائر،و اسم البطل في هذه الرواية مهمش فهو يشار إليه ب "المؤلف" بما أن الراوي فيها يقدم بصيغة الغائب "و لم يكن اسم المؤلف مذكورا بالمخطوط" (2)

---

(1)نفس المصدر ص 73

(2) مالك حداد,سأهبك غزالة,تعريب صالح القرمدي,الدار التونسية للنشر 1968. ص17

المبحث الأول:

ملامح الهوية في الرواية:

إن الهوية هي لفظ له دلالات عدة,كما له ملامح متعددة من بيئية وثقافية وإنسانية وتاريخية، وقد حاول مالك حداد من خلال روايته هذه أن يحصر لنا ملامح الهوية العربية ويبين لنا أن الحفاظ على هذه الملامح هو الحفاظ على الهوية العربية وتثبيتها ومحوها هو محو للهوية وكيانها.ومن هذه الملامح نجد البيئية،الشخصية وغيرها.

ا/ الملامح البيئية:

كان لهذه الملامح في الرواية وجودا لا يمكن تجاهله ولا تجاوزه.حيث وضع الطابع الطبيعي بصمته عليها.فقد كانت الصحراء عالما للرواية، والجبال شاهدا فيها، والغزالة رمزا لها،كما أن الكاتب في روايته هذه قد جال بنا العديد من الأماكن، وكل هذا لم يأتي هكذا بل كان بصدد التعريف بالهوية العربية وتعدادا لملامحها.

1- الاماكن:

* الصحراء:

تعد الصحراء بفضائها الواسع وبما تملكه من معالم طبيعية وتاريخية وحضارية: رمزا من رموز التاريخ والحضارة، كما أنها تعد معلما من معالم العروبة الهام،حيث أن هذه الأخيرة بفضائها الرملي الواسع بمعالمه غير مكتسب في العالم الاروبي، فهو ميزة تخص العالم العربي دون غيره، ولهذا عدت الصحراء رمزا للعروبة وخاصية تميز بها العالم العربي، وصنفت من أهم رموز العروبة، والمكانة التي وضعت فيها الصحراء لم تأتي من لاشيء بل هي نتيجة لما استحوذ ته من معالم ومظاهر أثر ت في قلوب وعقول

ساكنيها واهلها وأدهشتها، ولم ينحصر هذا على أهل الصحراء فقط بل تعدى إلى جملة الزائرين والرحالة والسواح، فقد أدهشتهم وسحرتهم بمظاهرها المختلفة و المتنوعة و المبهرة و بالمشاعر التي تبعثها فيهم فهي مدهشة بقدر ماهي غريبة، والغريب فيها هو هذا التمييز في المعالم والظواهر،اذ انها غير موجودة في مكان آخر غير الصحراء.

وكما سبقت الإشارة أن العالم العربي وحده تميز باستحواذه على الصحراء والجزائر جزء من هذا العالم، كما أنها واحدة من البلدان التي تملك هذا الفضاء الرملي الكبير، والمعروف عن الصحراء غموضها وسحرها وصعوبة الغوص فيها، وفد كانت الصحراء الجزائرية محل دهشة وإعجاب الزائرين، فقد كان لكل واحد منهم منظور يراها من خلاله.

وقد أعطى الرحالة الفرنسيين الصحراء الجزائرية ميزات وصفات متعددة و مختلفة.

فهذا "ريني بوتي" يقول:" أن الصحراء كما يطلق عليها بالإقليم الجنوبي،لفظ يطلق على منطقة شاسعة جدا و هي جغرافيا المنطقة المتصحرة التي تحرم الكرة الأرضية، و لها حدودها ،الأطلنطي في الغرب و الأطلسي و البحر المتوسط في الشمال،و البحر الأحمر في الشرق"(1)

أما الرحالة " الفرد بارودي" فيقول " الصحراء بحصر المعنى هي ذلك الإقليم الشاسع الممتد من الجزائر و ليبيا و السودان و من الأطلنطي إلى مصر- ربع إفريقيا" (2)

---

(1) علجية مرحوم, القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية , دراسة مقارنة 1935-1962 , رسالة ماجيستير دمشق .ص 215

(2) نفس المصدر ص 215

تظهر صورة الصحراء في الرواية كصورة الصحراء المعروفة،فهي تبدو فضاء رمليا واسعا، و مبهرا و لكن ما يميزها في هذا النص،هو أنها صحراء ليست عادية بل تنبئ بدلالات عدة، بالإضافة إلى كونها فضاء للحب و تبادل المشاعر بين الحبيان"يمينة" و "مولاي"" كان مولاي عاشقا،و كان عاشقا "ليمينة و كانت "يمينة" عاشقة، كانت عاشقة لمولاي و كانا يتقابلان هناك في الصحراء عندما يكون لليل باع و مهارة".(3)

يمينة هي مرأة عريقة ذات جذور رومانية بحتة، فهي ابنة الطوارق الذين يسكنون الجبال،ومولاي هذا الرجل الذي كان ذوهبة، ومكانة مرموقة، فهو ذلك المسكين " كان له من النخيل أكثر مما في لب القصيدة من أوهام" (4)

توفرت صحراء الرواية على العديد من المعالم المتنوعة: الواحة، الشاحنة،البرج العسكري،

إشارتان إلى العالم المادي الاروبي.

كما سبق وذكرنا أن الحبيبان اختارا مكانا للقائهما والتعبير عن حبهما ومشاعرهما، وقد كان "الكوكومن" ذلك المكان الذي ضمهما، وكان بمثابة حارسا عليهما وعلى حبهما،"وسأيمم "الكوكومن" مكان القبلات" (3) إلا أن هذا المكان كان بمثابة مكانين، مكان للعشق ومكان للدفن، فقد كان سفح "كوكومن" مقبرة يرقد فيها أناس لا أسماء لهم بمقابلة على ظهره أناس يعيشون حياة الحب والعشق،وهو بذلك يحمل على سفحه معادلة متعاكسة حيث هناك أناس يعيشون

---

(1) مالك حداد,سأهبك غزالة. ص 31

(2) مالك حداد, نفس المصدر ص32

(3) مالك حداد, نفس المصدر ص 32

حياة الفرح والحب والعشق وأناس لا حياة لهم وهم الأموات الذين ينامون في المقبرة،وهذا ما جعل من صحراء الرواية صحراء للتضادات، فقد كان العاشقان يعيشان العشق على سطح "الكوكومن" والأموات تحته.

*** الجبال:**

لم تكن الصحراء العربية وحدها محل إعجاب الزوار والرحالة،فهناك مظاهر بيئية أخرى كانت محطة انبهار ودهشة لديهم، فقد كانت الجبال العربية هذه المظاهر التي استولت على قلوب وعقول الرحالة والمستشرقين، وهذا لجمالها الطبيعي وتموقعاتها وأشكالها التضاريسية المدهشة، فقد كانت الجبال العربية محل دراسة لدى المستشرقين، وقد كان لهذا المظهر البيئي الهام مكانه في الرواية، وقد قام "مالك حداد" في روايته هذه بذكر العديد من السلاسل الجبلية الجزائرية المعروفة مثل: جبال التاسيلي وهي سلسلة من الجبال بجنوب شرق الصحراء(2) وجبل الكوكومن وهو جبل من صخر قائم "بغاط" بالصحراء الشرقية (3) وكذلك جبل الاكاموس وهو سلسلة من جبال "تاسيلي ...." (4)

قد عرفت هذه السلاسل الجبلية الجزائرية أهمية كبيرة لما تحمله من جمال وروعة ودهشة وعظمة، فقد كانت تتربع على مواقع تضاريسية مدهشة وأشكال مبهرة تبعث في النفس شعور العظمة والقوة والتحدي، فكل من يراها يحس ويشعر أن هذه الجبال ليست عادية بل وراءها سرا،وهذا ليس فقط لما تملكه من أشكال ومواقع بل هناك سرا وراء هذا الشعور،فهي جبال تدل على القوة والشموخ و التصدي، من المعروف أن الجزائر كان لها نصيبها من الاستعمار كغيرها من البلدان العربية وقد كانت بدايات هذا الاستعمار في الجبال وأول

---

(2) مالك حداد, نفس المصدر ص 31

(3) مالك حداد, نفس المصدر ص 34

(4) مالك حداد, نفس المصدر ص 49

رصاصة معلنة عنه انطلق من أعالي قممها فهي كانت نقطة تفجير الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، كما كانت محطة للعديد من المعارك الجزائرية ضد مستعمرها ومقبرة لشهدائها،فهي جبال تدل على القوة وشموخ قممها يدل على شموخ أهلها وكرامتهم كما تدل على التصدي و رفض الاستعمار،وقد عملت على النداء بالحرية والتحرر، وهذا ما بينته تلك المعارك التي قامت فيها وفي غيرها من الأماكن، فقد نادت هذه الجبال كما نادت الجزائر بأكملها بالحرية و التحرر.

إن الأهمية التي عرفت بها هذه الجبال لم تكن جديدة عليها، فهذه الجبال التي كانت نقطة لتفجير الثورة هي جبال شهدت وتصدت لأعنف المعارك في العهد الروماني،فقد كانت محطة للحرب والتحرر، إن الدفاع عن الوطن والحرية هو دفاع لاسترجاع الحقوق المسلوبة واسترجاع الهوية الوطنية التي كانت هدف للاستعمار ومبدءا يعمل على القضاء عليه.

إن ذكر مالك للطابع الجبلي في روايته لم يأتي هكذا، بل هو إشارة إلى هويته العربية الجزائرية من خلالا ملمح من ملامحها البيئية الهامة.

*** أسماء الاماكن:**

لم تخلو رواية مالك حداد من أسماء الأماكن والمدن الجزائرية المعروفة، فقد ذكر العديد منها: ورقلة "ومولاي ابن مدينة ورقلة" (1) ، تامنغاست "إنها "زندار" و" غاو" و "غدامس" و "طرابلس" الغرب و تمنغاست والجزائر العاصمة" (2) ومدينة "تمقاد" : (سأدخل مدينة تمقاد من باب "اجانوس") (3)

فذكرها في الرواية لم يكن هكذا بل جاء للدلالة على الهوية الجزائرية وذكرها هو تذكير بهوية الكاتب المفقودة، فكل هذه المدن هي ملامح للهوية العربية الجزائرية

(1) مالك حداد, نفس المصدر ص 32
(2) مالك حداد, نفس المصدر ص 50
(3) مالك حداد, نفس المصدر ص 147

وبهذا تكون الأماكن من أهم الملامح البيئية الدالة على الهوية العربية،وهذا ما يفعله الاستعمار عند استلائه على البلاد فهو يقوم بتغيير أسماء الشوارع والقرى من أسماء عربية إلى أسماء فرنسية وهذا للقضاء على الهوية العربية.

لقد عمل الاستعمار أثناء تواجده على استبدال أسماء الشوارع و المدن والمعالم من العربية إلى الفرنسية، وغالبا ما فرضت على المدن والقرى الجزائرية أسماء لقادة الغزو ومثل:

"كروفيقو،مرانقو، بريان، لافيجري، فيكتور هيقو، ديكارت"

وبهذا فالتسمية عنصر هام في الهوية وفي الدلالة عليها، سواء بالأشخاص أو الأماكن، فكل ما هو عربي دل على هوية عربية محضة.

2- الحيوانات:

لم تخلو الرواية من العنصر الحيواني كملمح من ملامح الهوية العربية فقد كان رمزا لها من خلال عنوانها "سأهبك غزالة"، ومالك لم يفصل العنوان عن المحتوى، فقد ركز على هذا الحيوان تركيزا واضحا وهاما،فأشار إليه وتحدث عنه.

* الغزالة:

لم يخص "مالك حداد" في روايته اهتمامه بالصحراء كملمح بيئي فقط بل أعطى لبهائمها بعدا هاما، وقد اختار من تلك البهائم "الغزالة"، فالمعروف عن الغزلان أنها تلك الحيوانات الجميلة ذات المظهر الساحر، فالغزلان بمظهرها هذا امتلكت

مخيلة الفنانين الاستشراقيين،كما أنها وصفت بالحرية و الطلاقة، ومالك الغزالة هو مالك للجمال النادر.

إن الغزالة بجمالها وسحرها وقيمتها تعد عالما للعشق، فخيار العاشقين هو الغزالة.

إن هذا الحيوان لا وجود حقيقي له في النص، فغزالتا المخطوط هما غزالتان متخيلتان لان المخطوط نفسه حكاية متخيلة، وحتى في الرواية لا وجود للغزالة بالرغم من عنوانها.

إن غزالتا المخطوط المتخيلتان إحداهما تموت والأخرى تفلت وبهذا يفشل "مولاي" في الإمساك بهما،أما الغزالة الثالثة فهي تعد حلما مستحيلا، "ليقل القائلون مايشاؤون،فلعلها كانت غزالة حقيقية ليست بحقيقة" (1)

الغزالة المذكورة في الرواية هي واحدة من ملامح الصحراء المتخيلة لدى الفرنسيين، أما الغزالة التي يرونها ماهي إلا كائن محنط و محشو بالتبن " وكانت غزالة محشوة تبنا تنظر إلى الليل من خلال واجهة الدكان البلورية" (2)

وقد تبين أن الفرنسيين هم شعب لا يميز بين الرخيص و الغالي و بين الأصلي و المزيف،فها هم فرحون بالأمانة التي أعطيت لهم ، و التي لا قيمة لها فهي صورة مزيفة عن الأصل، فالغزالة التي أعطاها المؤلف لنادل الحانة ثم أهداها إلى" جيزيل" غير حقيقية و لا هي أصلية، و هذا يعتبر رد فعل طبيعي، فالغزالة الحقيقية كائن غريب عنهم و لذلك فهم لا يعلمون قيمته.

"كانت الغزالة المحشوة تبنا تنظر إلى "جيزيل" من قلب "الكنتوار" بملء خطمها

---

(1) مالك حداد, نفس المصدر ص 177

(2) مالك حداد, نفس المصدر ص127

الدقيق الحاد فقال السيد "موريس":لقد اتقن صانعها صنعها حتى ليحسبها الناظر حية ،أليس كذلك؟ و سمعت "جيزيل" نفسها و هي تجيب كالصدى:نعم يحسبها الناظر حية.

ثم دنت من الكنتوار و شرح لها السيد "موريس" الأمر قائلا:أن اسم هذا الحيوان هو"غزالة" و ليس معروفا بديارنا هذه بل أنا اتسائل هل أن هذا الحيوان موجود حتى بحديقة النبات و الحيوان بباريس....

و في نهاية الأمر سألته "جيزال" قائلة:

-من ابن اشتريتها؟

فأجابها السيد "موريس" باعتزاز و بشيء من التفخيم في القول و هو يداعب الغزالة بيده قائلا: لقد اؤتمنت عليها (1)

إن تعامل الفرنسيين و تعاطيهم مع الغزالة أبدى صورة مماثلة لصورة الاستعمار مع الجزائر،حيث أن الفرنسيين استحوذوا على بلاد لا يعرفون قيمتها الحقيقية،و قد سعدوا بالاستيلاء عليها أو بالأحرى ظنهم أنهم استولوا عليها،لأنهم في الحقيقة لم يستولوا على هذه البلاد إلا في مخيلتهم، و هذا ما حدث مع الغزالة و الفرنسيين حيث إنهم تعاملوا مع كائن لا يعرفون حقيقته و قد ظنوا أنهم امسكوا به و في الحقيقة إنهم يتعاملون مع صورة متخيلة في أذهانهم، فهي إما تهرب منهم و إما تموت عنهم و هذا ما حدث لغزالة مولاي.

و قد عدت الغزالة ملمحا من الملامح البيئية للهوية، و ذلك للدلالة التي تمدها في التعبير عن الهوية العربية و كيانها الشخصي فبمجرد ذكرها يتبادر في الأذهان صورة الصحراء و التي تعبر هي الأخرى عن الهوية العربية المتميزة.

---

(1) مالك حداد, نفس المصدر ص136

إن ذكرها في الرواية هو ذكر و إشارة إلى هوية الكاتب التي عمل الاستعمار و الغرب على طمسها من خلال القضاء على مقوماتها و ملامحها المتعددة.

ا/ الملامح الشخصية:

لم تخلو الرواية من الملامح الشخصية للهوية فقد كان لها بصمتها عند مالك حداد، لقد توفرت الرواية على العديد من أسماء الأعلام.

من الأسماء العربية التي وردت في الرواية والتي استعملها الكاتب للدلالة على الهوية العربية نجد اسم "مولاي" الذي كثر ذكره في الرواية باعتباره بطلها (لقد كان هذه الرواية عينان، كان" مولاي عاشقا،وكان عاشقا يمينة") (1)

" كان مولاي يشعر بوخزات الضمير" (2)

والى جانب هذا البطل كانت هناك بطلة وهي يمينة " وكانت يمينة عاشقة كانت عاشقة مولاي" (3) ونجد كذلك "علي" و"أخيرا وحوالي منتصف الظهيرة اكتشف نظر (مولاي) و (علي) الغزالتان" (4)

وغيرهم من الأسماء الجزائرية مثل: وريدة، بن بلة.

إن وجود هذه الأسماء في الرواية لم يأت هكذا، فالكاتب قصد هذا ، فهذه الأسماء بمثابة رموز، أراد مالك حداد أن يوضح من خلالها شيء،فأوله أنها تشير إلى الهوية العربية وتدل عليها وان هذه الرواية عربية بالنظر إلى هذا الجانب، فهي أسماء تخص العالم العربي وتميزه عن غيره.

إن الوضع الذي يعيشه الكاتب ألا وهو حياة المنفى المجبرة، يفرض عليه الإشارة واستعمال الرموز دون التصريح المباشر.

---

(1) مالك حداد, نفس المصدر ص 31
(2) مالك حداد, نفس المصدر ص 69
(3) مالك حداد, نفس المصدر ص31
(4) مالك حداد, نفس المصدر ص66

عرف مالك حداد من خلال روايته هذه بالذكاء حيث انه لم ينسى هويته الجزائرية ودافع عنها، وفي نفس الوقت قد شجع الاحتلال الفرنسي بطريقة ثقافية فكرية وهذا لم يكن لغاية بل لأنه مجبر عليه، بحكم المكانة التي وصل إليها لأنه اعتبر واحدا من الفرنسيين وليحافظ على حياته في منفاه.

وقد توضح هذا الجانب من الذكاء في توظيفه لأسماء أعلام فرنسيين مثل:

موريس،جيزال، وغيرهم من أسماء الشخصيات الفرنسية، كسارتر وهو كاتب فرنسي، دانطون وزير وسياسي فرنسي, ماسو جنرال فرنسي، ولويس اراغون وهو شاعر فرنسي و جورج براسنس وهو مغني فرنسي، وبوردي وهو اسم لسياسي وصحفي فرنسي ينتمي إلى صف اليساريين.

إن توظيفه لهذه الأسماء والشخصيات لم يأتي هكذا بل هي بمثابة رموز وراءها سر، وقد مس بتوظيفه هذا العديد من طبقات المجتمع الفرنسي، كالطبقة العادية و المثقفة والعسكرية وغيرها،وهذا قد يدل على إجبارية تشريعية للاحتلال ولكن بطريقة فكرية ثقافية مميزة وهذا ما حدث مع "البير كامو" في روايته "الغريب" حيث وظف أسماء أناس يعودون في تسميتهم إلى العهد الروماني فهو قد شرع الاحتلال الروماني بطريقة ثقافية فكرية من خلال ذكرتلك الأسماء اليونانية وهو لم يتوقف هنا فقط بل تعدى إلى إطلاقه على ولايات من الوطن بأسماء يونانية .

إن الكاتب وبنفس الطريقة بين ملامح الهوية العربية ودافع عنها وشرع الاحتلال لإجباره على ذلك.

المبحث الثانى:

مفهوم الالتباس

للدالات نوعان: دالات مرتبطة بمدلول الالتباس أو سوء الفهم كما بين محمد شاويش متعلق بالنوع الأول حيث تكون الدالة مرتبطة بمدلول. و يمكن تعريف سوءالفهم أو الالتباس بأنه ربط الدالة بمدلول خاطئ أو توهم وجود رابط بين دال و مدلول.

و الشكل اللغوي للالتباس عند محمد شاوي ينطق من الظاهرة اللغوية "الاشتراك" حيث يكون أحيانا للفظ الواحد مدلولات مختلفة،مثل بعض الكلمات التي تحمل معاني متعددة مختلفة، ككلمة (عين) مثلا فهي تدل على عضو الإبصار في الجسد،وقد تدل على نبع الماء، و غيره.و بما أن الدالات التي هي الألفاظ محدودة لأنها تتكون من أصوات محدودة بمحدودية قدرة الإنسان الفسيولوجية ،فان ظاهرة "الاشتراك اللغوي" تكون ظاهرة لا بد منها ،فالدالات محدودة بينما المدلولات متغيرة بتغير الزمان و المكان .

و بتعميم إمكانية حدوث ربط خاطئ أو متوهم بين دالة و مدلول على أنواع "الدوال" غير الدوال اللغوية .

و تختلف حالات الالتباس حسب درجة تعقيدها،فابسط حالات الالتباس نجدها عندما يوجد الدال و يحصل الاختلاف في المدلول ، و يمكن تصحيح الالتباس بوضع المدلول الصحيح مكان المدلول الخاطئ (1)

---

(1)نقلا عن الموقع الالكتروني1152534 / http//histoire.maktoobblog.com

يوم 2010/12/14

الالتباس و نظرية التفاهم

يشوب التواصل الإنساني دائما قدر يزيد أو ينقص من سوء الفهم، فالإنسان في عملية تأويل مستمرة للإشارات الموجودة حوله ،و قد يصيب او لا يصيب في تفسيره لهذه الاشارات لان العقل الإنساني يتأثر بما حوله و لا يتلقاه بصورة آلية محددة و لكنه يتعامل مع هذه الإشارات والمدلولات متأثرا بالحالة النفسية للإنسان نفسه، و بالمحيط البيئي و الثقافي الذي يعيش فيه، و الذي يعطي للدلالات مدلولاتها الخاصة، و قد عد محمد شاويش حالات مختلفة من الموقف من الإشارات يمكن تصنيفها كلها تحت بند"الفهم" و"اللافهم" ، و على هذا فان التفاهم و الاتصال يتم بصورة صحيحة عندما يكون هناك وحدة مدلول عند الطرفين للدالة المستعملة ،يقول محمد شاويش"التفاهم لا يعني عندنا أكثر من الفهم المتبال،و هذا يعني وصول كل من الدلالات و مدلولات بصورة صحيحة إلى طرفي عملية الاتصال .... و لما كانت عملية الاتصال تتضمن استعمال هذه الدوال مع افتراض وحدة المدلول عند الطرفين فان عند عدم وجود هذه الوحدة و عدم اكتشاف الطرفين أو احدهما هذا الاختلاف يؤدي إلى سوء الفهم(من احد الطرفين)أو سوء التفاهم من الطرفين كليهما(1)

و مما قدم يتلخص لنا أن الالتباس قد يمس مجالات عدة فقد يكون التباس ثقافي،التباس اجتماعي، التباس سياسي، التباس ديني و التباس تاريخي و غيره لقد وضع مالك حدادة نفسه و القارئ لروايته" سأهبك غزالة"في الكثير من الالتباسات، و السبب الرئيسي لهذا هو كون المؤلف بعيدا عن وطنه،و يعيش في بيئة غير بيئته، و يخضع لثقافة غير ثقافته.

---

(1)نقلا عن الموقع الالكتروني1152534 / http//histoire.maktoobblog.com
يوم 2010/12/14

تجليات الالتباس:

لقد كان لعنصر الالتباس الدور الرئيسي والفعال في الرواية وقد تجلى في العديد من المظاهر والمجالات؛ كالالتباس اللغوي والالتباس الثقافي والتباس في الهوية الوطنية.

ا/ الالتباس اللغوي:

اعتبر الصراع الحضاري أهم الموضوعات المعالجة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ذلك نتيجة لسياسة المستعمر داخل الجزائر،حيث أراد تغريب الشباب الجزائري و إبعاده عن كيانه العربي و محو معالم الهوية و الشخصية العربية.

لقد كانت الهجرة من الأسباب الهامة في تأثر الجزائريين بالحضارة الغربية و تعلمهم اللغة الفرنسية،و كانت الطبقة المثقفة شاهدة أثناء الاحتلال على سياسة المستعمر في الجزائر،إلا أن الكثير فرضت عليهم الهجرة إلى فرنسا و البقاء في المنفى.

و الملاحظ في هذه الفترة و هي فترة الاحتلال، و حتى قبلها أن جل الكتاب يكتبون بالفرنسية بالرغم أن موضوعاتهم عربية محضة.

فالكتابة باللغة الفرنسية ولمتلقي فرنسي عن واقع محلي مغاربي فيه بناء للهوية بناءا ملتبسا لأنه ركز على احد محددات الهوية و التي هي اللغة.

كما سبق و ذكرنا أن الفترة التي كتبت فيها الرواية و هي فترة الاحتلال، انه هناك العديد من الأدباء و النقاد عاشوا نفس الحالة و عانوا من إشكالية الكتابة بالفرنسية فقد كانوا مجبرين عليها لا مختارين لها، و قد كان "مالك حداد" من بين هؤلاء الذين عاشوا حياة اجبروا عليها،فكتابة "مالك حداد" باللغة الفرنسية لم تكن خاضعة لرغبته و لا لاختياره، بل هي فرضت عليه فرضا فرغم رفضه الداخلي

لها إلا انه وجب عليه الخضوع لهذه الحتمية و العمل بها شانه شان الآخرين،فقد تمنى لو انه كتب بلغته و هذا ليصل إلى ما أراد الوصول إليه و تبليغ المشاعر و الأحاسيس التي تكمن بداخله،إلا انه ليست كل الأماني تتحقق.

عانى "مالك حداد" من هذا الحاجز كما عانى منه غيره من الأدباء و النقاد،فهو قد عاش في تلك الفترة منفيا عن بلده،و بذلك فهو خاضع لقانون إجبارية اللغة الفرنسية الذي كان قانونا من القوانين التي فرضت غليهم، و لهذا وجب عليه استعمال اللغة الفرنسية و التحدث بها و الكتابة بها قابلا أم رافضا.

إن رواية " سأهبك غزالة"هي رواية ذات هوية عربية بحكم موضوعاتها لا لغتها،فهو تناول بيئة عربية محضة و هي البيئة العربية الجزائرية، و بالتالي فهو يتحدث عن ثقافته و من يكتب عن ثقافة مجتمعه بغير لغة قومه هذا لأنه لا يجيد التعبير عما يحسه و بالتالي لا يجيد التبليغ عن اصدق مشاعره و بما أن المتلقي فرنسي فهو لا يتأثر لان البيئة التي يتحدث عنها الكاتب هي بيئة لا تخصه و لا يعرف عنها شيئا،و هو بهذا يوصل الرسالة التي يريدها أيضا لها و لا لمتلق يفهم ما أراده الكاتب.

لقد وجد الكاتب مشكلة كبيرة في التعامل بينه و بين أفراد الرواية،فقد وضع عدة طرق للتواصل معهم بدا اللغة، فمرة قدم نفسه عبر مخطوط بدل الحديث ، و مرة بتشكيله لشخصيات ذهنية كما يراها هو و يقدمها بناءا على رؤيته و هذا ما حدث مع "موريس" "سيدي موريس انك الأمير" (1)

القارئ للرواية يلاحظ أن إشكالية التواصل بالحديث واضحة في التعامل بين

---

(1) مالك حداد, نفس المصدر ص 59

المؤلف و "غردا" فكلاهما يعانيان من مشكلة اللغة،فالمؤلف لا يجيد الألمانية ولا "غردا" متمكنة من الفرنسية " لقد جاءت من ألمانيا مصحوبة بقاموس" (1)

لقد عان كلا من "مولاي" و "غردا" من كيفية التواصل فيما بينهما فكان "مولاي" يلجا إلى سرد أجزاء من روايته على "غردا" في فواصل الصمت بينهما، إلا أن هذا ما زاد الطين بلة "تناول المؤلف من على طاولة فراشة مخطوطا وطفق في قراءته وأصغت "غردا" إليه فقام الجدار الفاصل بينهم، ولم تفهم شيئا ولكن كان للجدران عينان تنظر بهما"(2) فمشكلة التواصل اللغوي أثرت في كلا منهما فتمنت "غردا" لو وجدت حلا لهذا المشكل اللغوي القائم لتتمكن من التعاطي والتواصل مع المؤلف " كانت "غردا" تود لو استطاعت الكلام"(3) ولهذا لجأت "غردا" إلى لغة أخرى في التواصل، فقد بدلت اللغة المنطوقة باللغة الملموسة فقد اختارت طريقة أخرى للتواصل ، وقد كانت آلة "الهر مونيكا" هي تلك الطريقة، وهذا كله يدل على فشل اللغة في التواصل و التعاطي معها.

إن المؤلف في هذه الرواية كالخاطب الذي لم يجد من يسمعه فهو يتحدث وحده ويحس وحده ويحلل وحده فهو وحيد لا يجد من يؤانسه " وبالي من خطاب بدون مستمع" (4)

وهذا كله لأنه يستعمل لغة غير لغة المتلقي وهذا ما جعله لا يجد من يفهم عليه ولا "غردا" فهمت ما تسمعه، وهذا ما يسمى بالالتباس اللغوي. لقد وقعت رواية "مالك حداد" في التباس لغوي ظاهر وهو أن من يقرأها يجد نفسه واقع في التباس في الحكم على هذه الرواية أهي عربية أم فرنسية؟، فهو إذا حكم عليها بحكم

---

(1) مالك حداد, نفس المصدر ص 64
(2) مالك حداد, نفس المصدر ص 65
(1) مالك حداد, نفس المصدر ص 69
(2) مالك حداد, نفس المصدر ص69

موضوعاتها فهي رواية عربية محضة لتناولها البيئة العربية و المجتمع الجزائري، أما إذا حكم عليها بحكم اللغة التي كتبت بها فهي فرنسية، وهذا ما جعل الرواية محل إشكال لدى النقاد حول تصنيفها أهي عربية أم فرنسية.

إن الرواية كلها تمثل التباسا لغويا وهذا بسبب اللغة التي كتبت بها، فالمؤلف عربي وهو حامل للهوية العربية الجزائرية، التي تعد اللغة العربية أهم مقوماتها، فكيف له أن يتجاوز هذا كله ويكتب باللغة الفرنسية، فقد وجب عليه الكتابة بالعربية استنادا لما سبق، فقارئ هذه الرواية يوضع في التباس هو أن المؤلف عربي أو غربي، فحين يعلم انه عربي جزائري فان هذا يؤكد التباسه، فإذا كان جزائري فهذا يفرض عليه الكتابة بالعربية، فعلى الرغم من أن الموضوعات المتناولة والبيئة المتحدث عنها بيئة عربية إلا أن هذا لا ينفي الوقوع في الالتباس بسبب اللغة، أهذا المؤلف عربي أو غربي، أهذه الرواية عربية أم غربية.

إن من المعروف أن اللغة هي روح الأمة ومرآتها، وكتابة المؤلف بغير لغته عن بيئته و ثقافته يؤثر في درجة التبليغ و الفهم و الاستيعاب لدى القارئ والملتقى والتأثير فيهما،حيث

إن الكاتب لا يتمكن من إيصال مشاعره ولا يؤثر في أفراد مجتمعه من القراء بقدر ما يؤثر عليهم لو استعمل لغته القومية وبهذا تكون اللغة هي روح الفرد ومن ضيعها ضيع روحه و هويته باعتبار اللغة أهم مقومات الهوية و أساس بناء الكيان الشخصي.

لقد كان لعنصر اللغة أهمية كبيرة في العديد من المجالات كالمجال التعليمي و الثقافي و لها صلة كبيرة بمجال الهوية، فهي روح العلم و التعليم و معلما من معالم الهوية العربية و فقدانها هو فقدان للهوية بكل معالمها فالعربي هو ناطق باللغة و متمكنا منها و الغير بعكس ذلك و قد كانت اللغة أهم مقومات الهوية و هذا ما أثبتته

السياسة الاستعمارية في الجزائر حيث أنها عملت على محو الشخصية الجزائرية و مقوماتها،فقد كانت اللغة العربية هي العنصر الثاني الذي قاومته فرنسا من أجل تحطيم الشخصية الجزائرية و طمس معالم كيانها و هذا يثبت أهمية اللغة في بناء الهوية و الحفاظ عليها .

و قد كانت أهم عناصر الثقافة المعنوية و أقوى مكوناتها و أبرز صورها فهي الوعاء الذي تحفظ فيه الثقافةو تنقل بواسطته عبر الاجيال(1)، وهذا ما جعل الاستعمار يحاربها فهي رمزللثقافة و من ثمة للهوية و بما أن ثقافات المجتمعات تختلف فان كل لغة تمثل رمزا لكل ثقافة و لهذا وجب على كل كاتب كتب عن ثقافة قومه و مجتمعه أن يكتب بلغته القومية لا لغة غيره من المجتمعات للتعبير عن ثقافة تخصه و تخص قومه.

و بهذا يكون نجاح الكاتب فيما يكتبه و فيما يعبر عنه مرهون باللغة التي يكتب بها، فمن يكتب بغير لغته عن ثقافته القومية فانه لا يحسن التبليغ و لا التأثير فحتى لو أثر فانه لا يؤثر في أفراد مجتمعه بقدر التعبير باللغة القومية.

إن الهوية الحقيقية هي أن يكون هذا فرنسي أو ذاك عربي،وهذا مسلما أو ذاك مسيحيا،و لا يجمع بين الصفتين إطلاقا.

---

(1)أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات،شركة دار الامة للطباعة والترجمة والنشروالتوزيع ،برج الكفان الجزائر .

كتبت هذه الرواية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كان الكاتب متواجدا في المنفى بعيدا عن وطنه وعن الملابسات الفكرية والحرية القائمة فيه، إلا أن هذا البعد لم يكن إلا بعدا جسديا، فهو لم يبعد عن وطنه فكريا بل كان متطلعا وعالما بكل ما يجري فيها.

إن هذا الحاجز الذي فرض على الكاتب لم يكن حاجزا يبعده و يقطع صلته بأهله و أصدقاءه،بل كان له هدفا آخر،في فصل الكاتب عن ثقافته العربية و لغته القومية،وهذا لم يأتي هكذا بل كان لإجبار الكتاب الجزائريين على ترك اللغة العربية و نسيانها واللجوء إلى استعمال لغة العدو و اكتسابها و العمل بها و هذا ما حدث فعلا، فقد اجبر الكتاب على ذلك حيث أهملوا اللغة العربية ولجؤوا إلى اللغة الدخيلة وتمكنوا منها وعملوا بها وقد نجحوا في ذلك.

كتب هذا النص باللغة الفرنسية وكان هذا نتيجة للسياسة التي فرضتها فرنسا على المهاجرين العرب حيث أجبرتهم على الهجرة ومن ثم فرضت عليهم تعلم اللغة الفرنسية و الكتابة بها،وهذا الشيء مجبر عليهم لا مخير عندهم.

لم يختر مالك حداد الكتابة بالفرنسية بل اجبر عليها لأنه لا يجيد العربية " اللغة الفرنسية حاجز بيني و بين وطني اشد وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسط....وأنا عاجز عن أن اعبر بالعربية عما اشعر به....إن الفرنسية لمنفاي..." (1)

أجبر مالك حداد رغم هويته العربية الجزائرية المحضة على الكتابة بالفرنسية

---

(1) المصدر نفسه, المقدمة

عن عالم عربي جزائري، فهذا التباس في الهوية، فهو ذو هوية جزائرية، فكيف يمكنه الكتابة بلغة لاهي بلغته ولغة قومه ولا هي بلغة معبرة عن هويته العربية إلا أننا نرجع و نقول "مالك حداد" لم يختر الكتابة بالفرنسية فهي حتمية على غيره من الأدباء إبان تلك الحقبة من الزمن.

والتي فرضت من طرف الاستعمار الذي عمل على قطع الصلة بين الجزائريين ولغتهم الأصلية وذلك بحرمانهم من تعلم لغتهم، ولهذا فمالك حداد وغيره من الأدباء لم يجدوا سوى

لغة العدو للتعبير عما بداخلهم من مشاعر و انفعالات فليس لديهم سوى هذا

الخيار،على الرغم من أن هذا الطريق الذي سلكوه أوقعهم في مشاكل و التباسات،

فكل واحد من هؤلاء الأدباء يعلم و يحس في نفسه أنه لا يجد سوى لغة المستعمر

في التعبير عن انفعالاتهم حول ما يجري في و طنهم من مشاكل.

لقد عمل المستعمر إلى جانب سياسته الإجرامية على محو الهوية العربية والشخصية الجزائرية وذلك بمقاومة مقوماتها السياسية و الثقافية وقد كانت اللغة أهم تلك المقومات الثقافية التي حاربتها فرنسا، وذلك لإبعاد أهلها كل البعد عنها وحرمانهم من تعلمها، وهذا ما حدث فعلا، فقد ابتعد الكاتب وغيره عن لغتهم العربية فلم يتعلموها ولم يتمكنوا منها وهذا ما جعلهم لا يكتبوا بها، فقد كان أمرا محتما عليهم وهذا ما أرادته فرنسا.

كتب هذا النص في فرنسا ونشر في دور النشر الفرنسيةا على الرغم من أن مؤلفه جزائري وموضوعه عربي جزائري،وهذا التباس واضح في الهوية فكيف لمؤلف ذو هوية عربية ويكتب عن موضوعات عربية جزائرية محضة، أن يكتب بلغة وينشر ما كتبه بغير لغته وفي أرض لاهي بأرضه ولا هو بفرد ينتمي اليها، فإذا

رجعنا إلى معنى الهوية الوطنية فهذا النص لا يجب أن ينشر لأن موضوعه عربي ومحوره البيئة العربية الجزائرية، فكيف يمكن أن ينشر بلغة غير لغته وفي بلد غير بلده.

عاش "مالك حداد" حياتين في هذا النص؛حياة الوطن المتخيلة وحياة المنفى في فرنسا، هذه الحياة الأخيرة التي عانى منها مالك معانات باتت واضحة في كتاباته، فحسب رأيه منفاه لم يكن بعد عن الديار وحرمان من الأهل،فالمنفى عنده هوبعد عن ثقافة وطنه ومقومات هويته والتي كانت اللغة أهمها،حيث أبعد عنها كل البعد، فكانت اللغة الفرنسية بمثابة المنفى له " إن الكاتب الجزائري يشعر في قرارة نفسه أنه عربي الدماء،مسلم العقيدة وأنه ينتمي إلى منطقة من العالم لها تقاليدها الخاصة وعاداتها المميزة ومشاكلها الوطنية مع الاستعمار الذي فرض لغته على أهالي البلاد وحرمهم من تعلم لغتهم الوطنية،فإذا شاء هؤولاء الكتاب أن يعبروا عن خلجات نفوسهم فإنهم لا يجيدون لذلك من وسيلة سوى اللجوء إلى اللغة الدخيلة لغة العدو،تلك اللغة التي أتقنوها أيما إتقان حتى أصبحوا يضاهون فيها

خيار كتابهم،غير أنهم مع ذلك كله ورغم النجاح الذي يصادفونه في ميدان الأدب يشعرون بنزيف هذا الموقف الغريب ويحسون أن اللغة التي بها يعبرون هي بمثابة المنفى لهم، فالمنفى بالنسبة إليهم لا يتجلى في بعد الدار والحرمان من اجتماع الشمل مع الأهل والأصدقاء بل هو أعمق من ذلك، لان المنفى الحقيقي الذي يعانون منه الأمرين هو ذلك الانقطاع عن الثقافة الوطنية وذلك الحنين الدائم والشوق المتناهي إلى اللغة العربية" (1)

---

(1) نقلا عن رسالة ماجستير ترجمة مالك حداد إلى العربية, دراسة أسلوبية مقارنة عن رواية "رصيف الأزهار لا يجيب" حنفي عيسى. موقع الانترنت:

www.wn.dan.org/dalil/1hain/dalil/110.htn

إن التباس الهوية الوطنية الذي وقع فيه "مالك حداد" وغيره من الأدباء في كتاباتهم لم يكن بمحض إرادتهم، فقد جاء نتيجة للسياسة الاستعمارية التي فرضتها فرنسا والتي كانت تهدف إلى نفي الشباب الجزائري وإبعاده عن مقوماته الشخصية ومعالم هويته العربية وقد عملت على دمج الشباب الجزائري في حضارتها وإبعاده عن حضارته العربية وذلك بإبعادهم عن وطنهم وفرض عليهم مجموع من القوانين التي تفرض التطبيق لا النقاش.

"إننا مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين: وسرعان مافقدوا الاتصال بحضارتهم ولكن غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة" (1)

وبهذا فقد عانى الشباب الجزائري من الضياع بين حضارتين عربية جزائرية و أروبية فرنسية، كما عانوا في تحديد هويتهم، أهم عرب أم غرب ؟ فهم عاشوا صراع في تحديد الهوية الوطنية و النسب الحقيقي لهم، فقد ضاعوا بين الأصل و المكتسب.

وبهذا كله "فمالك حداد" ونتيجة للصراع الذي عاشه بين حضارته وهويته العربية وبين الحضارة الاروبية وهويتها، فقد انعكس كل هذا على كتاباته وهويتها، حيث انقسمت بين حضارتين واكتسبت هويتين؛هوية ألسنية فرنسية و هوية موضوعية جزائرية، كما عانت الالتباس في الحكم عليها عربية أم فرنسية.

رغم علاقة "مالك حداد" بفرنسا الإجبارية والإكراهية إلا أنه لا يتمكن من الانفلات منها بالرغم من انجذابه إلى وطنه الأصل وهويته العربية وشوقه الدائم إلى ثقافته وثقافة بلاده.

---

(1) أبو القاسم سعد الله. . الحركة الوطنية في الجزائر(1900-1930) دار الآداب.بيروت. ط 1969.

ختاما لهذا كله فان رواية "سأهبك غزالة" وان كان قد تحددت هويتها الالنسية على أنها هوية فرنسية غربية، إلا أنه و بالنظر إلى موضوعها فهي تنتمي إلى الوسط العربي الجزائري فهي ذات هوية عربية بحكم موضوعها لا لغتها،ومؤلف هذه الرواية قد عانى من التباس في احد محددات هويته، كما أن المؤلف يعان من التعاطي مع هويته الجزائرية الوطنية في المنفى وذلك لأن هذه الرواية كتبت في وقت الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث كان المؤلف يعيش حياة المنفى في باريس.

ومن الأمور التي توقف القارئ لهذه الرواية هي معاناتها مع الهوية التعريفية الأولى للفرد وفي إعطاءه اسما، حيث لم يذكر اسم البطل فقد أشير إليه ب "المؤلف".

ج/ الالتباس الثقافي:

تعريف الثقافة

يعرفها " كريم زكي الدين" في كتابه " اللغة و الثقافة" 'أن الثقافة مثل اللغة تمثل مجموعة من القواعد و المعايير التي يأخذ بها مجتمع ما،و لهذا فقد اعتبرها المشتغلون بالدراسات الانتربولوجية ضمن منظومة ثلاثية تشمل الجنس و اللغة و تمثل أهم المقومات التي تحدد هوية المجتمعات الإنسانية'.(1)

ويعرفها "تايلور" 'ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف و المعتقدات و القانون و الأخلاق و العرف و المقدسات و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين' (2)

و يعرفها "ترياندیس":

" إن الثقافات تختلف عن بعضها البعض في المستويات و في أبعاد كثيرة وقد بين الانثربووجيون أن العالم ينقسم إلى مجالات ثقافية حيث يكون التفاعل داخلها أيسر بشرط أن تتلاءم الاستجابة نفسها" (3)

إن الثقافة تمس العديد من جوانب :المادي و الاجتماعي و الإيديولوجي و البيئي.

1-'الخصائص الثقافية المادية:لقد قسم"بيتر بيومارك المادية إلى الطعام,الألبسة،المنازل،المدن و النقل."(4)

2- الخصائص الثقافية الاجتماعية:

"إن المجتمع العربي يختلف في أعرافه و تقاليده الاجتماعية عن غيره من المجتمعات الانجليزية و الفرنسية و الألمانية و غيرها من الثقافات الأوروبية التي

---

(1) نقلا عن رسالة ماجستير لعبد الكريم قطاف تمام،اشكالية نقل الخصوصية الثقافية-قسنطينة2006/2005 ،ص38

(2)نفس المرجع،ص39

(3) نفس المرجع،ص38

(4) نفس المرجع،ص40

أقل ما يقال عنها أنها متفتحة لا تجد حرجا في أن يكتب أحد كتابها أوأن يتحدث عن الجنس و ما شابه ذلك بطريقة تتنافى مع ثقافة المجتمع العربي.

إن الثقافة الاجتماعية تختلف من شعب لآخر حتى و أن تعلق الأمر بأمور عامة تبدو أنها عالمية، و من ذلك التحية، فالعربي يقول صباح الخير بيد أن الانجليزي يكتفي بالابتسامة أو بكلمة « hello » (1)

3-الخصائص الثقافية البيئية:

يتعلق الأمر بالحيثيات الجغرافية و اختلاف الخلفيات من حيث المناخ و النبات و الحيوان (2)

4-الخصائص الثقافية الإيديولوجية:

تتعلق بالسياسة و الدين (3)

اختلفت الأمم و اختفت ثقافتها ،فكان لكل أمة ثقافتها التي تميزها،و انفردت كل أمة بهوية ثقافية تقوم على مقومات ثابتة ،و قد انحصرت هذه المقومات في اللغة و الدين و التاريخ ،و الحفاظ على هذه المقومات يعني الحفاظ على الهوية الثقافية. إذ" أن الثقافة مثل اللغة تمثل مجموعة من القواعد و المعايير التي يأخذ بها مجتمع ما ، و لهذا فقد اعتبرها المشتغلون بالدراسات الانتربولوجية ضمن منظومة ثلاثية تشمل الجنس و اللغة و تمثل أهم المقومات التي تحدد هوية المجتمعات الإنسانية".(4)و قد كان للجانب الثقافي مكانه الهام في بناء الهوية الوطنية ،و هذا بينته سياسة المستعمر في الدول التي احتلها،فهو يعمل على إهدار الشخصية الوطنية و مقوماتها الثقافية.

---

(1)نقلا عن رسالة ماجستير-اشكالية نقل الخصوصيات الثقافية، عبد الكريم قطاف تمام،ص42

(2)نفس المرجع ،ص43

(3)نفس المرجع،ص45

(4)نفس المرجع ،ص38

و هذا ما قامت به فرنسا في الجزائر ،إذ حاربت التاريخ الجزائري و الدين الإسلامي كما قاومت اللغة العربية لطمس معالم و كيان الشخصية العربية فتعددت الثقافات من ثقافة واقعية و نفعية و رومانسية و لكل من هذه الثقافات مبادئها التي تؤمن بها و تعمل على ثباتها .

الاستعمار طوال المدة التي قضاها في ديارنا لم يكتف باستغلال الأرض بما فوقها و ما تحتها ،و استعباد الإنسان.بل تعدى ذلك إلى تشويه التاريخ و إفراغه من محتوياته الايجابية ، و ذلك ليتمكن في مرحلة أولى من فصل المجتمع الجزائري عن قاعدته المتينة التي يرتكز عليها، و المتمثلة في ثقافتنا الوطنية و ما تشتمل عليه من ثروات هائلة و هي دروع واقية عند الحاجة .

إن فرنسا عند دخولها الجزائر ركزت على الجانب الثقافي بهدف القضاء على هوية الشعب الجزائري و طمس معالم شخصيته، و لتحقق هذه الغاية اعتمدت سياسة خاصة، كفتح مدارس مختلطة ،القضاء على جميع مراكز التعليم و الثقافة العربية ،فرنسية المحيط بكتابة أسماء الشوارع و المدن و القرى الجديدة بالفرنسية ،محاربة اللغة العربية و إحلال اللغة الفرنسية محلها حتى كادت تمحو معالم العربية الفصحى ، و أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في المدن و العواصم مثل:عنابة،وهران.

إن السياسة التي اتبعتها فرنسا تبين مدى أهمية الجانب الثقافي في بناء الهوية الوطنية.

فالحياة الثقافية في حقبة المستعمر اقتربت من الفناء و هذا ما قاله" ابن باديس"في احد مقالاته'هذا القطر قريب من الفناء ليست له مدارس تعلمه و ليس له رجال يدافعون عنه و يموتون عليه، بل كان في اضطراب دائم و مستمر....كان أبناؤنا يومئذ لا يذهبون إلى المدارس الأجنبية التي لا تعطيهم غالبا من العلم إلا الفتات

الذي يملك أدمغتهم بالسفا سف حتى إذا اخرجوا منها خرجوا جاهلين لدينهم و لغتهم و قوميتهم، و قد ينكرونها....'(1)

و بهذا تكون السياسة الاستعمارية من الوجهة الثقافية تمثلت في محو الصفات التي ينفرد بها المجتمع الجزائري و قد هاجمت بصورة خاصة الثقافة العربية الإسلامية التي تراها القوة الرئيسية في مقاومة ما تسعى إليه من مسح الشخصية.

تعددت الثقافات من ثقافة واقعية و نفعية و رومانسية و لكل من هذه الثقافات مبادئها التي تؤمن بها و تعمل على ثباتها.

و الثقافة العربية هي ثقافة رومانسية و لا علاقة لها بالواقع و المنفعة، فهي إذا أعطت لا تنتظر المقابل على عكس الثقافة الأوروبية التي هي ثقافة تؤمن بالواقعية و النفعية، و إذا منحت شيئا أرادت من و رائه مقابلا. فهذه هي سياستها في التعامل و التواصل مع الثقافات الأخرى.

و إذا ما رجعنا إلى الرواية وجدنا سؤال الطفل الغربي للمؤلف حين منحه آلة الهر مونيكا "و أنا ماذا علي أن أعطيك"(2)

إن سؤال الفتى الفرنسي واضح و متوقع و منتظر، فهو من مجتمع أوروبي يخضع لمبدأ الأخذ و العطاء ، و لكل شيء مقابل، فمبدأ النفعية يسيطر على التعامل و التواصل بين أفراد مجتمعه الغربي الفرنسي وان هذا لا ينحصر على المجتمع الأوروبي و أفراده فقط، بل تعدى إلى علاقته بالمجتمعات الأخرى.

---

(1) سعيدة داودي-سكينة حراث-موسى السبتي-بلقاسم حايف-كتاب التاريخ السنة الثانية من التعليم الثانوي العام ص116

(2)مالك حداد'ساهبك غزالة'-تعريف صالح القرمدي-الدار التونسية للنشر 1968 ص 107

من خلال قرائتنا للرواية اتضح مشكل التواصل اللغوي بين المؤلف و بين تلك الفتاة الألمانية "غراد" حيث عانى كلاهما في التعاطي مع بعضهما ،إذ كان حاجز اللغة هو الفاصل بينهما إلا أن "غراد" اختارت طريقة أخرى للتواصل حيث قدمت له آلة الهر مونيكا"بدل الحديث" فأخرجت منه غلافا صغيرة مدته للمؤلف باعتزاز،ثم أقحمت نفسها بسرعة تحت الملحقة من جديد و انتظرت ،فنظر المؤلف تارة إلى "غراد" و تارة إلى ذلك الشيء الذي مدته له، و كانت الفراشة مستمرة في الانتظار، و قد علقت بشفتيها ابتسامة كأنها غير واقعية -ابتسامة قوامها الأمل- و فتح المؤلف الغلاف فوجد فيها آلة الهرمونيكا"(1)

"فغراد" اختارت الهرب من المؤلف لأنها لم تفهم ما يقوله فأعطته "آلة" الهر مونيكا لتتفاعل معه بدل الحديث.

و في هذا دلالات أخرى "غراد" حين و جدت نفسها تقف أمام ثقافة لا تستطيع فهمها و لا التعاطي معها، اختارت محو تلك الثقافة و إبدالها بثقافتها و هي الهر مونكا،هذه الثقافة الغريبة عن المؤلف و مجتمعه،فهي وجدت الكاتب يمتلك ثقافة غير ثقافتها أرادت بذلك تفريقه عن ثقافته، و تقريبه لاكتساب ثقافتها الأوروبية ،فبهذا الطرح نرى أن "غراد" أرادت محو الثقافة العربية التي هي ثقافة المؤلف و إكسابه الثقافة الأوروبية بمقوماتها.

و قد يكون لإعطاء "غراد" المؤلف آلة الهر مونكا معنى آخر،حيث يكون هذا بصدد إدماج الثقافات و تضامنها لا إبعاد المؤلف عن ثقافته و تركه لها، واكتسابه للثقافة الأوروبية,إن "غراد" أعطت المؤلف الهر مونكا رمز الثقافة الأوروبية التي أرادت منه اكتسابها و دمجها مع ثقافته العربية الإسلامية، فهي دعت إلى الدمج بين الثقافتين.

---

(1)مالك حداد-ساهبك غزالة-ص 101

إن قبول المؤلف لآلة " الهر مونيكا" يوحي للقارئ بالتباس ثقافي حيث أن المؤلف من بيئة عربية و ذو ثقافة و هوية جزائرية، فكيف له أن يقبل بثقافة "غراد" فهو بقبوله للآلة يعني انه قبل الإدماج بين الثقافتين.

ومن الدلالات التي تبينها حادثة "الهر مونيكا" التباس ثقافي ايديوليجي ،فالثقافة النفعية ليست ثقافتنا .إلا أن المؤلف حين قال :"أنا أعطيك هذه الهر مونيكا ، و أنت تعطيني عمرك"(1) فهذا بين عكس ذلك ،حيث المؤلف طلب مقابل على شيء أعطاه للطفل إلا انه قد يكون توضيح قبول المؤلف للآلة ،هو تشرده بين الثقافات " أنا رجل تعوزه معرفة الحياة و قواعد الظرف "(2) فالمؤلف هنا حائر بين البقاء في المحافظة على ثقافته العربية الإسلامية ،في بيئة غريبة عنه و تخضع لثقافة تبعد كل البعد عن ثقافته و دينه،فهو بهذا الضياع بين الثقافات العربية و الأوروبية لم يعرف المعنى الحقيقي للحياة و أي حياة يجب أن يعيشها و يخضع لثقافتها و دينها.

إلا أن المؤلف يتفطن و يعود لتوضيح ثقافتنا الحقيقية حين رد على الطفل، حين سأله"و أنا ماذا أعطيك" فأجابه المؤلف قائلا:" لا شيء أيها الأحمق"(3)

و نعود للحديث عن ظاهرة الإدماج بين الثقافات، فالثقافة الفرنسية عند دخولها الدول المستعمرة حاولت محو كل الثقافات،لاعتقادها أنها الأقوى، فحطمت كل الهياكل الثقافية، و في مرحلة ثابتة من استعمارها عملت على فرض حلولها الكثيرة التي من بينها الإدماج و المسح و التذويب، و هذه الحلول جعلت الشعب

---

(1)مالك حداد-ساهبك غزالة-ص 107

(2)مالك حداد-نفس المصدر-ص 104

(3) الك حداد-نفس المصدر-ص107

الجزائري يتفطن إلى مقاصدها، فانبثق العديد من الحركات و الأحزاب التي منها من طالب بدمج الثقافتين الفرنسية و الجزائرية، و منها من رفض هذا الإدماج رفضا تاما، و دعوا إلى الحفاظ على الإرث الثقافي الجزائري الذي يعد عندهم منبعا للقوة و الصمود و فصله كل الفصل عن الثقافة الفرنسية.

إن دعاة اللاادماج يرون أن فرنسا هي عدوة الجزائر،فهي تحتل أرضها و تسيطر عليها و هي في الحقيقة تريد ما جاء من وراءه إلحاقا، و هي وراء هذا الإدماج تعمل على جعل الجزائر ملحقا بفرنسا، وقد كان على رأس هذا الاتجاه"حزب جمعية العلماء المسلمين" برئاسة" ابن باديس" كما كان "حزب الشعب"برئاسة "مصالي الحاج" و هو أول اتجاه دعا إلى الاستقلال التام.و قد عمل كل من هاذين الحزبين على تنبيه الجزائريين إلى الإخطار التي قد تلحق بهم و بأمتهم نتيجة سياسة الإلحاق و الإدماج ، فكلاهما ناد باللاادماج و دعوا إلى التجنيس و إحياء اللغة العربية و العمل على فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية.

وبالمقابل كان هناك اتجاه سياسي إصلاحي نادى بالإدماج بين الثقافتين الفرنسية و الجزائرية وهو "النخبة الليبرالية" وقد كانت تنشد بإصلاح أوضاع المجتمع الجزائري،وهي ترى أن هذا لا يتم إلا إذا أقدمت فرنسا على إلحاق الشعب الجزائري وإدماجه مثلما فعلت بالأرض و الثروات ومن بين رموزها "ابن حميد بن تهامي" وكذا من دعاة الإدماج "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري" برئاسة "فرحات عباس"، فقد عمل على الدمج بين فرنسا و الجزائر حيث دعا إلى إنشاء جمعية جزائرية مرتبطة فدراليا بفرنسا، اللغة العربية و الفرنسية رسميتان في الجزائر.

وبهذا تكون فرنسا قد عملت على الإدماج بين الثقافة الجزائرية وثقافتها وضاعفت جهودها في هذا العمل إلا انه كان من الفرنسيين فئة طالبت باللاادماج، فهم يرون

أن حقيقة الأمر هي مواجهة بين ثقافتين ودينين و حضارتين مختلفتين لا يمكن الدمج بينهما.

إن العلاقة بينهما هي علاقة تصادم وصراع، لا علاقة اندماج وتفاعل،فهما ثقافتين لا يمكن الجمع بينهما فلكل منهما مقوماته التي لا يمكن أن يتخلى عن بعضها.

و كتابة " مالك حداد" باللغة الفرنسية فيها نوع من الدعوة إلى الإدماج بين الثقافة الفرنسية والثقافة الجزائرية, فهو جزائري يكتب عن بيئة عربية بلغة فرنسية،"مالك حداد" لم يختر هذه اللغة بل اجبر عليها،فهذا الإدماج مجبر لا مخير وفرنسا قد تعمدت هذا.

لقد اشترك مالك حداد مع عدد كبير من الأدباء والكتاب في تلك الفترة من الاحتلال في إجبارية الكتابة باللغة الفرنسية، حيث انه في نفس السنة التي كتبت فيها رواية "ساهبك غزالة" كتبت رواية اخرى هي"السبات العادل" "لمولود معمري" فهي ذات تيار واحد تصب في مصب واحد،وهو الضياع والتمزق والتشتت و الحنين إلى الوطن، كما انه لم يكن وحدة يهتم بقضايا وطنه و الحديث عنها و الدفاع عليها بل شاركه في ذلك الكثير من أمثاله من الأدباء الذين عاشوا إجبارية النفي و الحرمان والتشرد بين الثقافات.

إن القارئ لرواية «سأهبك غزالة" يتوقف عند حادثة توحي له بالتباس ثقافي اجتماعي وهو كما سبق وذكرنا التباس يمس الثقافة الاجتماعية أي عادات و تقاليد المجتمع.

فهذا الالتباس يقع في قول المؤلف " لن أنسى أبدا يمينة , الفتاة التي لم تكن تعرف كيف تقبل "مولاي" الرجل الذي علمها القبلات في جو طعمه كفر متاخم للندم" (1)

---

(1) مالك حداد, سأهبك غزالة ص 31.

إن في هذا النوع من الالتباس الذي يدخل ضمن الثقافة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فمن المعروف أن المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية التي تقوم على عادات و تقاليد و أعراف خاصة لا يمكن تجاوزها ولا محوها والبطلان من بيئة جزائرية بعد كونها عربية وهما عربيان الأصل، فتبادل القبل بين رجل و امرأة ظاهرة بعيدة كل البعد عن واقعنا الثقافي الاجتماعي ولا هي من عاداتنا ولا تقاليدنا ولا أعرافنا، فالمجتمع العربي أو الجزائري بالأخص هو مجتمع يختلف في عاداته وتقاليده عن المجتمع الأوروبي، فهذه الظاهرة قد تكون من عادات المجتمع الأوروبي الذي هو مجتمع متفتح يتيح هذه الظواهر وغيرها،والحديث عنها يتنافى مع ثقافتنا الاجتماعية العربية، فانفراد "مولاي" و "يمينة" هذان العربيان في الصحراء هذه البيئة العربية والتي يعيش على ظاهرها مجتمع عربي مسلم وتبادلهما القبلات، أليس هذا التباس ثقافي واضح فلو كانا البطلين غريبين لما كان التباس لان ثقافة التقبيل من عادات و تقاليد مجتمعهم.

وإذا ما عدنا إلى ثقافة مجتمعنا العربي فانه وجب على يمينة و مولاي عدم التلاقي و الانفراد لان في هذا تجاوز لعادات و تقاليد المجتمع العرب، ومساس بثقافته الاجتماعية.

قامت فرنسا في أول عهدها باحتلال الجزائر بامتلاك مساجد المسلمين ووضع سلطتها على أئمة المساجد وموظفيها، كما فرضت السجن و التعذيب جزاءا لمن يطالب بحرية الدين الإسلامي.

وتعددت الديانات باختلاف المجتمعات، فكانت الإسلامية و المسيحية و الوثنية و غيرها، وكانت لكل ديانة عقائدها ومعتقداتها ومقوماتها التي قامت على إثرها وعملت على نشرها و ثباتها.

و مجتمعنا الجزائري كغيره من المجتمعات الإسلامية الدين بكل ما يملك من معتقدات و حيثيات فنادى بالعمل بها والسير على دربها ولم تتغير العقيدة الإسلامية عبر الزمان و المكان، فما هو حرام قديما هو حرام حديثا و ما هو مباح قديما ظل مباحا عبر الأزمنة المختلفة. فلا تغير الزمان ولا المكان يؤثر على قواعد العقيدة الإسلامية لديننا.

إننا وباعتبارنا عرب مسلمين فنحن نخضع لثقافة دينية معلومة المعالم و واضح القوانين، قد قام الدين الإسلامي بتحريم العديد من الأمور كالزنا، وشرب الخمر،والكذب،و السرقة وغيرها، إلا انه هناك من المسلمين من تجاهلوا هذه الثقافة الدينية وتجاوزوها إلى ثقافة أجنبية ما هي بثقافتهم.

الالتباس الديني:

إن بناء الهوية و الكيان الشخصي قائم على قيام و بناء الثلاثية القوية اللغة و الدين و الثقافة. وقد عدت كل منها أسس تقوم عليها الهوية و السيادة الوطنية،فهي بمثابة الإرث التاريخي و الحضاري لكل امة، حيث وجب الحفاظ عليها و تثبيتها و العمل على تشعبها داخل كل امة، فكلا من الثقافة و اللغة و الدين يعبر عن هوية كل امة و مجتمع ويميز الواحد عن الأخر، فضياعها ضياع هوية المجتمع و بقائها هو بقاء ودوام له.

تميز كل مجتمع عن الأخر بثقافته و لغته و دينه قد تختلف المجتمعات العربية في السياسة و الثقافة و الفن إلا أنها تسترك في أساس واحد وهو الدين، هذا الأخير الذي هو ثابت، فكل هذه المجتمعات تقوم و تتمحور حول أساس ديني لا يتغير لا عبر الزمان ولا عبر المكان.

فقد كان للدين أهمية كبيرة في بناء الهوية الوطنية العربية وتميز المجتمعات العربية الإسلامية عن غيرها من المجتمعات الأخرى، وهذا ما جعله العنصر الثاني بعد اللغة الذي اهتم به المستعمر في الجزائر وعمل على محوه.

عملت الإدارة الاستعمارية منذ احتلالها الجزائر على محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي باعتبارهما أساس مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، ومنها القضاء على الأمة و التنكر لوجودها.

وهذا ما أوضحه الالتباس الديني القائم في إحدى محطات هذه الرواية والمتمثل في قوله:"لن أنسى أبدا "يمينة" التي لم تكن تعرف كيف تقبل "مولاي" ولن أنسى أبدا "مولاي" الرجل الذي علمها القبلات في جو طعمه كفر متاخم للندم" (1)

---

(1) مالك حداد, سأهبك غزالة ص 31.

ان في هذا خروج عن الثقافة الدينية العربية الإسلامية، فالمعروف عن "يمينة" و "مولاي" أنهما جزائريان يخضعان للدين الإسلامي فكيف يمارسان ثقافة "القبلة" وهي ثقافة غربية بعيدة عن ديننا الإسلام، فديننا الحنين حرم هذه الأمور ونهى عنها. إن المؤلف عربي والبطلان عربيان والبيئة عربية فكيف للمؤلف أن يوظف هذه الثقافة الغربية في روايته، هذا ما جعله يقع في التباس ديني واضح. فهو قام بإدماج الثقافة الدينية الغربية في بيئة عربية إسلامية، فالقبلة ليست بثقافتنا الدينية وديننا يرفض رفضا باتا هذه الثقافة.

و المؤلف بتوظيفه لهذه الحادثة يضع القارئ أمام التباس ديني واضح، هو أن المؤلف يتحدث عن بطلان جزائريان ذو ثقافة دينية إسلامية فكيف لهما ممارسة ثقافة القبلة، فإننا نجد أنفسنا حائرين في تحديد هوية هذان البطلان. أهم مسلمان أم غربيان.

كما توفرت الرواية على محطة من محطات الالتباس الديني الذي وقع فيه الكاتب وهو شرب الخمر " وضحك المؤلف ثم طلب كأسه المعهودة من الروزى" (1)

إن هذا مخالف للعقيدة الإسلامية التي تنهي عن شرب الخمر فهو من المحرمات.

فالمؤلف هنا يوضح انه معتاد على شرب الخمر، والالتباس متجلي في كون المؤلف ذو ثقافة عربية إسلامية تنهاه عن الخمر، فكيف يتجاوز هذا ويصبح ذو ثقافة غربية تتيح له شرب الخمر، إن نفي المؤلف وإبعاده عن وطنه لا يعني تجاوزه لدينه، فالدين ثابت لا يعرف تغير، لا عبر الزمان ولا عبر المكان.

---

(1) مالك حداد, سأهبك غزالة ص 55.

الخاتمة:

نصل من خلال دراستنا هذه إلى أن الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية يختلف في تعبيره للقضية الجزائرية والواقع الجزائري عن الأدب الفرنسي لذي كتبه الروائيون الفرنسيون على الجزائر، حيث لكل واحد منها مضموناته الخاصة ومعاناته المتميزة،ولكل واحد طريقته الفنية وأشكاله التعبيرية المنفردة في معالجة هذه المعاناة وترجمة تلك المضمونات.

ومن جملة التساؤلات التي طرحت عن هوية هذا الأدب الذي كتبه الجزائريون باللغة الفرنسية منذ نشأته إلى يومنا هذا، ومن خلال عرضنا لظروف تلك النشأة ، فناقشنا موضوع لاسيما ما تعلق باللغة ومن ثم بهويته الثقافية والحضارية.وهذا ما يكرس النظرة الراسخة لعامل اللغة كأساس ركن في شخصية الشعوب، كما يدل على مجال اتساع وأهمية قصوى.

فينطق الكاتب الجزائري بالعربية من محليته دائما ليصل إلى ما يسمى بالعالمية فهو جزء من الإنسانية العامة ومكمل للأدب الإنساني.

فالاستعمار لم يترك وسيلة لإهدار مقومات الشخصية الجزائرية بين العالمية و الخاصية جميعا إلا اتخذها و تثبت بها، فقد وظف جميع إمكانياته الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية و الحضارية من اجل تحطيم الكيان الجزائري فيسهل عليه بذلك أمر إدماجه و فرنسته.

كذلك يكون الأمر إذا رجعنا إلى مشكلة تعبير هؤلاء الأدباء باللغة الفرنسية، فنلاحظ انه على الرغم من استخدام هؤلاء لهذه اللغة الغريبة عن واقعهم الذي يعبرون عنه، لم تتمكن من أن تكون حاجزا بينهم وبين مجتمعهم ولم تستطيع

النيل من شخصيتهم وأصالتهم وتقاليدهم، وتكون عاملا من عوامل الثورة وتحرير الذات.

إذ أن هذا الأدب الذي ولد على الأرض الجزائرية بأقلام جزائرية في ظروف استعمارية قاسية وغير طبيعية، في الوقت الذي كلن فيه المحتلون يستعدون للاحتفال بمرور قرن من الزمن على استيلائهم على الجزائر، فقد كان وسيلة نضال للكفاح ضد المستعمر وللتعريف بالقضية الجزائرية للعالم.

وبظهور ثورة ثقافية من أدباء جزائريين مثقفين باللغة الفرنسية أمثال "مالك حداد" والذي اتخذ من تلك اللغة سلاحا، ومن فن الرواية وسيلة جادة للدفاع عن القضية الجزائرية وطرحها أمام الرأي العام. هذه الرواية الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية والتي كانت بدورها إحدى الآثار التي خلفها الاستعمار الفرنسي في الواقع التاريخي الجزائري.

حيث أن رواية "سأهبك غزالة" قد قدمت الشرق في إطار الرومانسية وذلك باعتماد صورتين: شرق عاشق وشرق صحراوي رومانسي وكان الشرق هنا يساوي الجزائر في مقابل صورة فرنسا التي تطغى عليها المادية، و الصورة التي لا تنفصل عن السياق التاريخي الذي صدرت فيه الرواية،وهو سياق الاستعمار وتذبذب المؤلف بين الوطن و المنفى ولغة كل منهما كما هو شان وحال بقية المؤلفين أمثاله.

وفي الأخير نملي بان تكون قد وفقنا بعض التوفيق في هذا الجهد المتواضع الذي يعود الفضل في انجازه بالدرجة الأولى إلى الله سبحانه الذي منحنا من سعة رحمه، ووهبنا من نور علمه وأعطانا من قوته ما جعلنا نكابد مشقة العمل بحب وصبر وأمل.

فهو حسبنا وهو ولينا وتوفيقنا.

قائمة المصادر و المراجع:

1/ المصدر:

- مالك حداد, سأهبك غزالة,تعريب صالح القرمدي,الدار التونسية للنشر .1968

2/ المراجع:

- احمد بن نعمان," سمات الشخصية الجزائرية " من منظور الانتروبولجيا النفسية, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر 1988.
- احمد بن نعمان, الهوية الوطنية, الحقائق والمخالطات, شركة دار الآمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع, برج الكيفان الجزائر.
- نقلا عن احمد منور , الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه ,ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر بن عكنون.
- أبو القاسم سعد الله.دراسات في الأدب الجزائري-دار الأدب-بيروت ط.1969
- أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية في الجزائر(1900-1930) دار الآداب.بيروت. ط 1969.
- الجندي أنور. الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا, الدار القومية للطباعة والنسر. القاهرة, 1965.
- سعد البازعي. شرفات للرؤية و العولمة والهوية والتفاعل الثقافي, المركز الثقافي العربي, بيروت - لبنان,4006 – الدار البيضاء , المغرب.

- سعاد محمد خضر, الأدب الجزائري المعاصر, دراسة أدبية نقدية , منشورات المكتبة العصرية, بيروت, 1967.
- محمد يحياتين,مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية,ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر,1984.
- مصطفى الاشرف, محاولات لتبرير الغزو الفرنسي في كتابه الجزائر الأمة و المجتمع, ترجمة حنفي بن عيسى, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1989
- عبد الله ركيبي , القصة الجزائرية القصيرة, الدار العربية للكتاب,تونس. ط م, 1972.
- عبد الملك مرتاض, نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1945, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر .
- نورة فرج,ارتباكات الهوية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, المغرب ط1 2007.
- سعيدة داودي-سكينة حراث-موسى السبتي-بلقاسم حايف، كتاب التاريخ السنة الثانية من التعليم الثانوي العام

المراجع المترجمة او المعربة:

- كاتب ياسين,نجمة.ترجمة ابيض العيسي.المؤسسة العربية للدراسات و النشر. بيروت,لبنان ط2 . 1985.
- كامو البر "الطاعون" ترجمة د.سهيل اقمرين طلاس. للدراسات و الترجمة و النشر دمشق 1984
- مالك حداد, رصيف الأزهار لا يجيب, ترجمة حنفي بن عيسى, المطبوعات الوطنية, الجزائر 1965.

- مالك حداد, التلميذ والدرس. ترجمة سامي الجندي,دار الطليعة.بيروت.1973.

المراجع الاجنبية:

الدوريات:

- مجلة الباحث, العدد الرابع عشر- تشرين الثاني- كانون أول- 1980, بيروت, لبنان

الموسوعات والقواميس:

- جمال الدين بن شيخ, معجم آداب اللغة العربية والأدب الفرانكفوني المغاربي, ترجمة ط.مصباح الصمد, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- مصباح الصمد, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الرسائل الجامعية:

*علجية مرحوم.القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية.دراسة مقارنة 195-1962.رسالة ماجستير-دمشق

* الأخضر الزاوي بن بقاسم.المدنية الجزائرية قي الرواية الغربية بعد الاستقلال.رسالة ماجستير القاهرة

*فيروز شني.ترجمة مالك حداد إلى العربية ,دراسة أسلوبه.مقارنة عن رواية رصيف الأرض لا يجيب.رسالة ماجستير –قسنطينة

* عبد الكريم قطاف تمام، اشكالية نقل الخصوصيات الثقافية، رسالة ماجستير

المواقع الالكترونية

*http//histoire maltooblog.com/1152534

*Edinburgh press university.*www.always tudied.org.